المملكة العربية السعودية

المدينة المنورة

دلالة النبات
على توحيد الله وعظمته

تأليف

الدكتور / فهد بن محمد بن رغيان الساعدي

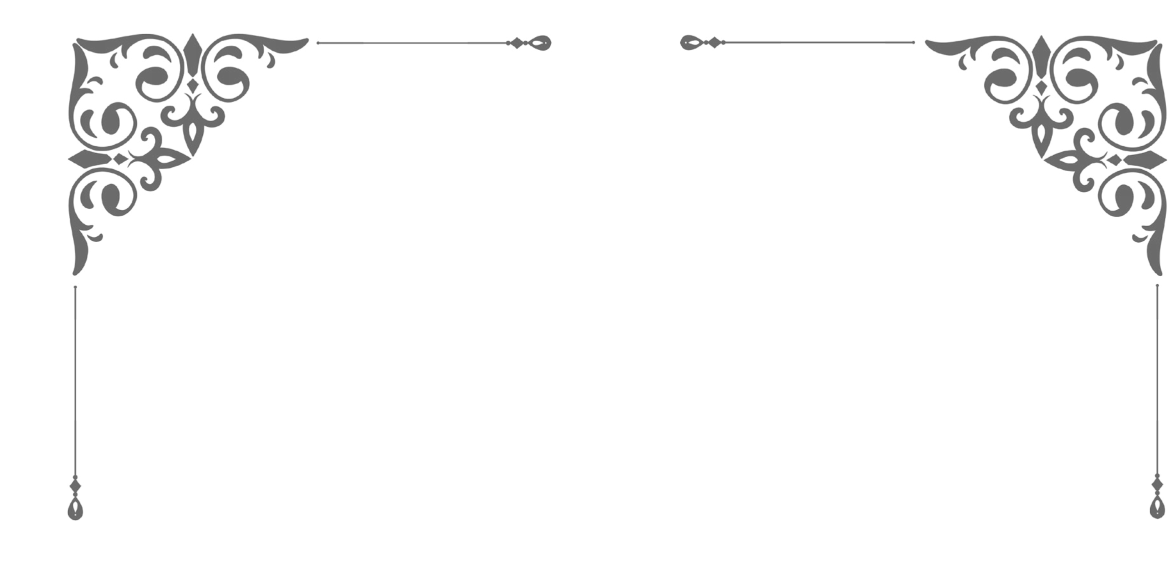
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة طيبة بالمدينة

والمدرس في كلية المسجد النبوي الشريف

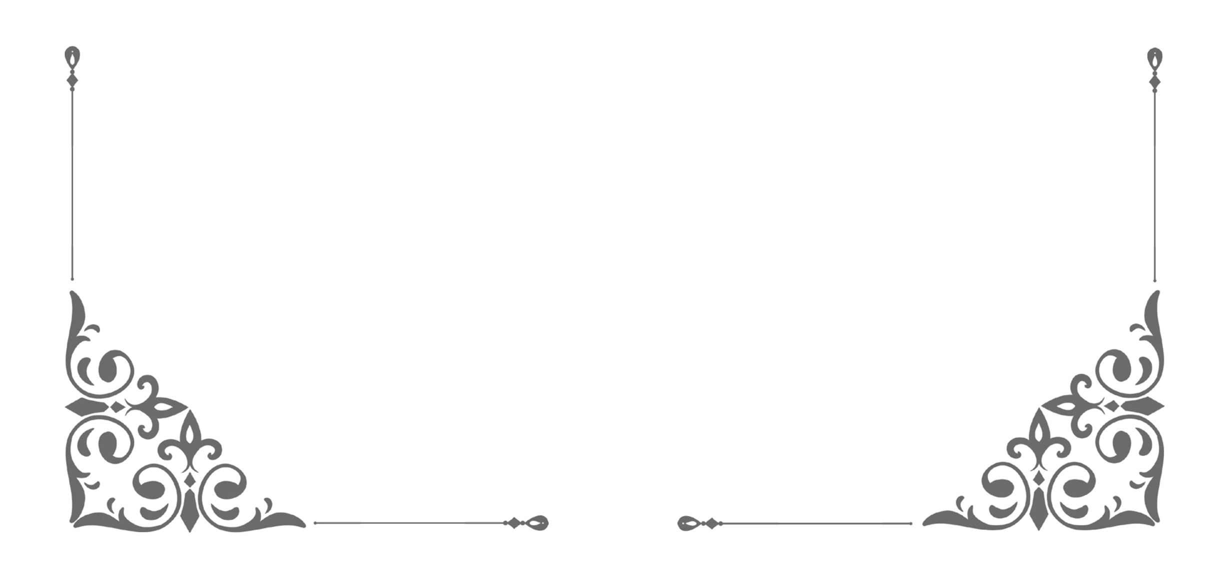
الطبعة الأولى

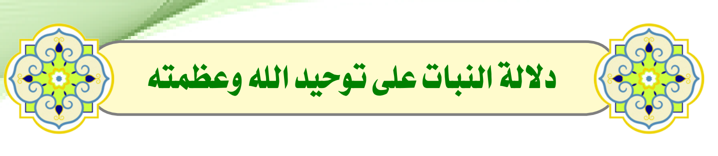
١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م


بسم الله الرحمن الرحیم



مُقَدِّمَة





بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

إن الحمد له نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:

أما بعد:

فإن العلم بأصول الدين من أشرف العلوم وأجلها قدرًا، إذ إن حاجة العباد إلى هذا العلم فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فهو حياة القلوب، وبهجة النفوس، ولا طمأنينة للبشرية إلا عرفت ربها، ومعبودها حق المعرفة.

وهناك مشاهد كونية تملأ الدنيا، وهي جزء من عظمة الله في كونه الفسيح، وآية على وحدانيته، وداعية إلى العبودية، والشكر له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ومن تلك المشاهد العظيمة الظاهرة للبر، والفاجر، والمسلم، والكافر، ما بث الله تعالى في الأرض من نباتات متنوعة، بأشكال مختلفة، وثمار لا حصر لها، ترى الأرض هامدة موحشة، قد يئس منها أهلها، ثم تتجلى رحمة رب العالمين بإنزال الغيث، فتتبدل الحال، وتبتهج الأرض بحلتها الخضراء، وتعود إليها الحياة من جديد قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥﴾ [سورة الحج: آية ٥].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة فصلت: آية ٣٩] .

وفي القرآن الكريم الكثير من التذكير بنعمة إنبات النبات، والشجر ليلفت انتباه الناس إلى عظمة الخالق سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فيتأملوا تلك المشاهد المحسوسة فيشكروه على نعمه، ولكي يعلموا أن حياتهم على الأرض ليست صدفة، ولا فوضى؛ بل هي بترتيب من حكيم خبير.

وفي الوقت الذي انشغل أكثر الخلق بالمخلوقات عن الخالق ، وبالدنيا عن الدين ، وبالعالم المادي المحسوس عن العالم الغيبي أحببت الكتابة في موضوع عقدي يحرك القلوب إلى خالقها وبارئها تحت عنوان :

«دلالة النبات على توحيد الله وعظمته»



أهمية الموضوع، وأسباب اختياره

تبرز أهمية الموضوع من خلال جوانب عدة أذكر منها:

١. أن الله تعالى أكثر من ذكر النبات في كتابه العزيز وغالب الآيات ذكرت لتقرير التوحيد الذي من أجله خلق الله عباده، فأمر نبه الله به على توحيده في كتابه، وأكثر من ذكره لهو جدير بالدراسة.

٢. تنوع دلائل التوحيد المتعلقة بالنبات مما يؤكد ضرورة تتبع تلك الدلائل وبسطها في مؤلف.

٣. أن التأمل في آيات الله الكونية ومنها النبات يزيد في الإيمان ونحن في زمن غلبت فيه المادة عند أقوام وتعلقت قلوبهم بها، فبحث مثل هذا الموضوع يساهم في التذكير بآلاء الله تعالى وفي تقرير التوحيد الذي من أجله خلقنا، وفيه نصح وتذكير لمثل هؤلاء، وهو مطلب شرعي.

٤. أن تعلق المخلوقات بالنبات من دون الله تعالى موجود منذ القدم وقد عبدت الأشجار كما كان من قوم شعيب وغيرهم، ولم يزل هذا الأمر موجود إلى يومنا هذا وإن تنوعت صوره، وهذا يقتضي التحذير من هذا الأمر في الدراسات العلمية.

٥. كثر في هذا الزمان مع انتشار القنوات الفضائية والوسائل الأخرى الحديث عن النبات وأهميته، والتداوي به ولكن للأسف من غير ربط الناس بخالقها غالبا والله تعالى هو المنعم على عباده بنعمه الظاهرة، والباطنة، ومثل هذا الموضوع العقدي يربط الناس بخالقها مع أخذهم بالأسباب المشروعة.



٦. لا توجـد دراسـات علميه خاصة بجانـب العقيدة لمثل هـذا الموضوع وفق منهج السلف حسب علمي، وفي المقابل نجد الكثير من المؤلفات التي تحدثت عن النبات ولكن من النواحي العلمية، والطبية مع أننا نجد الكثيـر من النصـوص التي تحدثت عـن النبات، ممـا جعلني أرغب في البحث فيه مستعينا بالله راجيا التوفيق منه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.



خطة البحث

يشتمل البحث على: مقدمة ، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

* المقدمة: وفيها ، تمهيد: وفيه مسألتان:
  - المسألة الأولى: تعريف النبات.
  - المسألة الثانية: متى خلق النبات؟
* المبحث الأول: دلالة النبات على الإيمان بالله تعالى ووجوده، وفيه تمهيد وأربعة مطالب:
  - التمهيد ، وفيه : تعريف الإيمان لغة، وشرعًا.
  - المطلب الأول: الدلالة الفطرية للنبات على وجود الله تعالى.
  - المطلب الثاني: الدلالة العقلية للنبات على وجود الله تعالى.
  - المطلب الثالث: الدلالة الشرعية للنبات على وجود الله تعالى.
  - المطلب الرابع: استدلال السلف على وجود الله تعالى بما يشاهد في النبات.
* المبحث الثاني: دلالة النبات على ربوبية الله تعالى. وفيه تمهيد، وخمسة مطالب:
  - التمهيد، معرفة النبات لربه تعالى.
  - المطلب الأول: دلالة خلق النبات على ربوبية الله تعالى.
  - المطلب الثاني: دلالة العناية والحكمة بالنبات على ربوبية الله تعالى، وفيه تمهيد وست مسائل:

- المسألة الأولى: النبات وغذاء الكائنات.
- المسألة الثانية: بقاء نوع النبات، وتكاثره.
- المسألة الثالثة: نقل حبوب اللقاح، والبذور ونشرها.
- المسألة الرابعة: نمو النبات بميزان وتقدير.
- المسألة الخامسة: تناسب النبات مع البيئة.
- المسألة الساسة: حفظ الله تعالى للنبات، وحمايته.

- المطلب الثالث: دلالة الإتقان والإحكام بالنبات على ربوبية الله تعالى.
- المطلب الرابع: دلالة التنوع، والتشابه، والإختلاف بالنبات على ربوبية الله تعالى.
- المطلب الخامس: الرد على نظرية التطور في النبات.

❊ المبحث الثالث: دلالة النبات على توحيد الأسماء الحسنى والصفات العليا.

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بتوحيد الأسماء والصفات.
- المطلب الثاني: دلالة النبات على كمال الله تعالى. وفيه مسألتان.
  - المسألة الأولى: الاستدلال بقياس الأولى على كمال الله تعالى.
  - المسالة الثانية: دلالة الفعل على صفات الفاعل.

❊ المبحث الرابع: دلالة النبات على توحيد الألوهية:

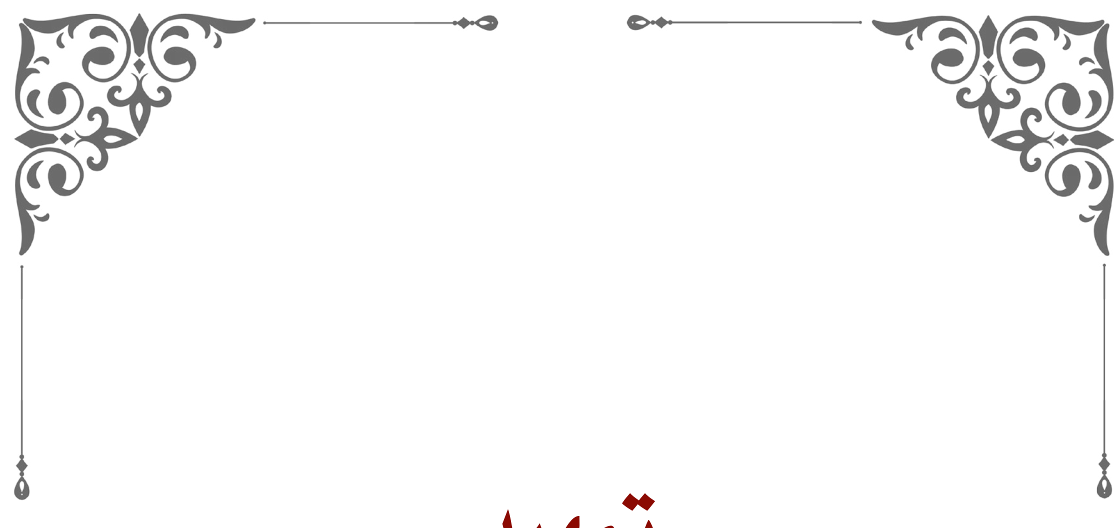
وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: عبودية النبات لله تعالى ، وفيه مسألتان:
  - المسألة الأولى: تسبيح النبات.
  - المسألة الثانية: سجود النبات لله تعالى.
- المطلب الثاني: القَسَم بالنبات .
- المطلب الثالث : الولاء والبراء عند النبات، وفيه تمهيد ، وخمس مسائل:
- التمهيد : تعريف الولاء والبراء ، والمراد بالولاء والبراء عند النبات .
  - المسألة الأولى : حنين الجذع للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
  - المسألة الثانية : شهادة الشجر للمؤذن .
  - المسألة الثالثة :تلبية الشجر مع المسلم .
  - المسألة الرابعة : موالاة الشجر للمؤمنين.
  - المسألة الخامسة : موالاة شجر الغرقد لليهود .
- المطلب الرابع :حكم تصوير النبات ونحته .
- المطلب الخامس: التداوي بالنبات ، وفيه ثلاث مسائل :
  - المسألة الأولى : التداوي بالنبات الوارد في نصوص الشرع .
  - المسألة الثانية : التداوي بسائر النبات وحكمه .
  - المسألة الثالثة : التداوي عن السحر ، والعين ببعض النبات وحكم ذلك.
- المطلب السادس : العقائد الخاطئة المتعلقة بالنبات ، وفيه خمس مسائل :
  - المسألة الأولى : عبادة البشر للنبات .
  - المسألة الثانية :التبرك غير المشروع بالنبات .

- المسألة الثالثة :التطير من النبات .
- المسألة الرابعة: وضع الزهور على القبور .
- المسألة الخامسة :الإعتقاد ببعض الزهور لألوانها .

- المطلب السابع : حكم وضع غصن الشجرة على القبر .
- المطلب الثامن : علاقة الجان بالنبات

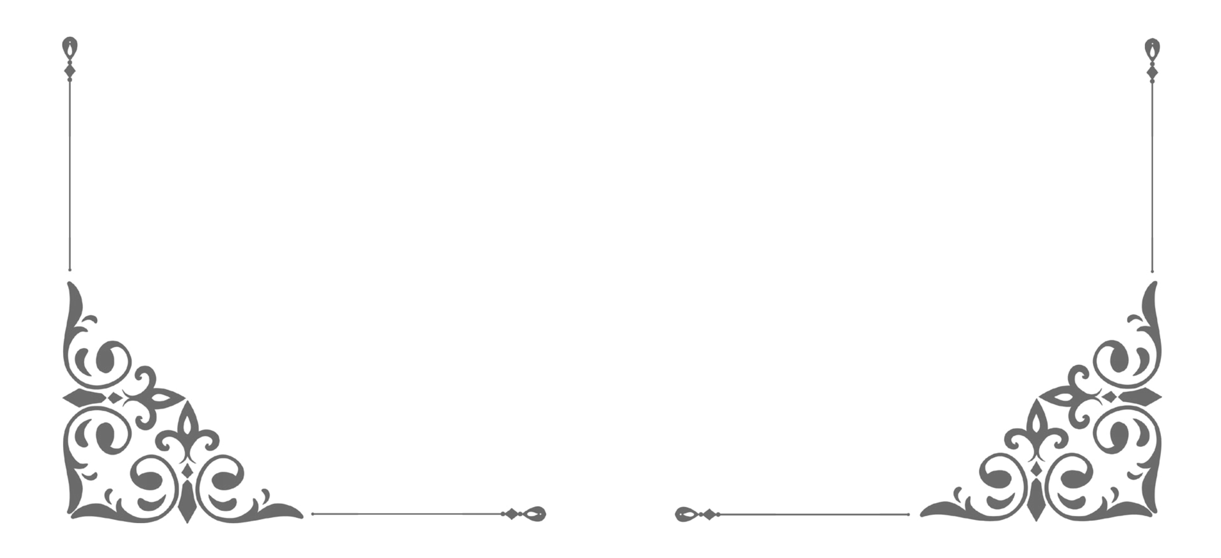
❊❊❊



تمهيد

وفيه مسألتان:

- **المسألة الأولى:** تعريف النبات.
- **المسألة الثانية:** متى خلق النبات.





المسألة الأولى

تعريف النبات

النبت:

كل ما أنبت الله في الأرض فهو نبت، والنبات اسم يقوم مقام المصدر، يقال: أنبت الله النبات إنباتـًا، قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [سورة آل عمران: آية ٣٧].

والنبتة:

شكل النبات وحالته التي ينبت عليها، وهي أيضـًا الواحدة من النبات.

والنبات من كل شيء:

الطري حين ينبت صغيراً، يقال: ما أحسن نابتة بني فلان، أي: ما ينبت عليه أموالهم وأولادهم، ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشؤ صغار.

والتنبيت:

أول خروج النبات، والتنبيت أيضـًا: ما نبت على الأرض من النبات من دق الشجر وكباره.

ومن خلال كلام أهل اللغة نجد أن مادة «نبت» تطلق ويراد بها عدة معانٍ منها(١):

١. موضع النبات وشكله وحالته التي ينبت عليها.

٢. تربية الجارية والصبي وتغذيتهما.

---

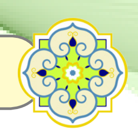
(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٢١٥)، لسان العرب لابن منظور (٢/ ٩٥)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٢٠٦)، تاج العروس للزبيدي (٥/ ١١٠)، معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار (٣/ ٢١٥٥).

٣. وصول الغلام إلى مرحلة المراهقة والبلوغ.

٤. أصل الصدق والمنشأ الطيب، وأصل الخسة والمنشأ الخبيث.

والـذي يهمنا من هذه المعاني هو ما يتعلق بموضـوع البحث من أنَّ النبات: كل ما أنبته الله تعالى من شـجر، أو عشـب ونحوه في الأرض، أو في السماء، أو في الجنة، أو في النار.





المسألة الثانية

متى خلق النبات

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدي فقال: «**خلق الله عَزَّوَجَلَّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل**»(١).

وعلى فرض صحة الحديث يكون خَلْقُ الشجر والنبات يوم الاثنين والعلم عند الله.

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٩)، وقد أعلَّ الحديث جماعة من أهل العلم كابن المديني، والبخاري، وابن تيمية، وابن كثير وغيرهم، للأسباب الآتية:

١. أنه لم يذكر خلق السماء، وجعل خلق الأرض في ستة أيام.
٢. أنه جعل الخلق في سبعة أيام مع أن القرآن الكريم قد بيَّن أن خلق السموات والأرض كان في ستة أيام، أربعة أيام منها للأرض، ويومان للسماء.
٣. أنه مخالف للآثار القائلة: عن أول الستة كان يوم الأحد، وهو الذي نزل عليه أسماء الأيام: الأحد، الاثنان، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس.
٤. أن إسناد الحديث قد أعله ابن المديني بأن إبراهيم بن أبي يحيى قد رواه عن أيوب، قال ابن المديني: «وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا عن إبراهيم بن أبي يحيى» وإبراهيم قد رمي بالكذب فلا يثبت الخبر عن أيوب ولا من فوقه. ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٥٠).

وكذلك الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن الحديث لا يصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما هو عن كعب الأحبار. ينظر: التاريخ الكبير ص (٤١٣).

وقد تابع ابن تيمية وابن كثير الإمامَ البخاريَّ على هذا القول. ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٧٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢١).

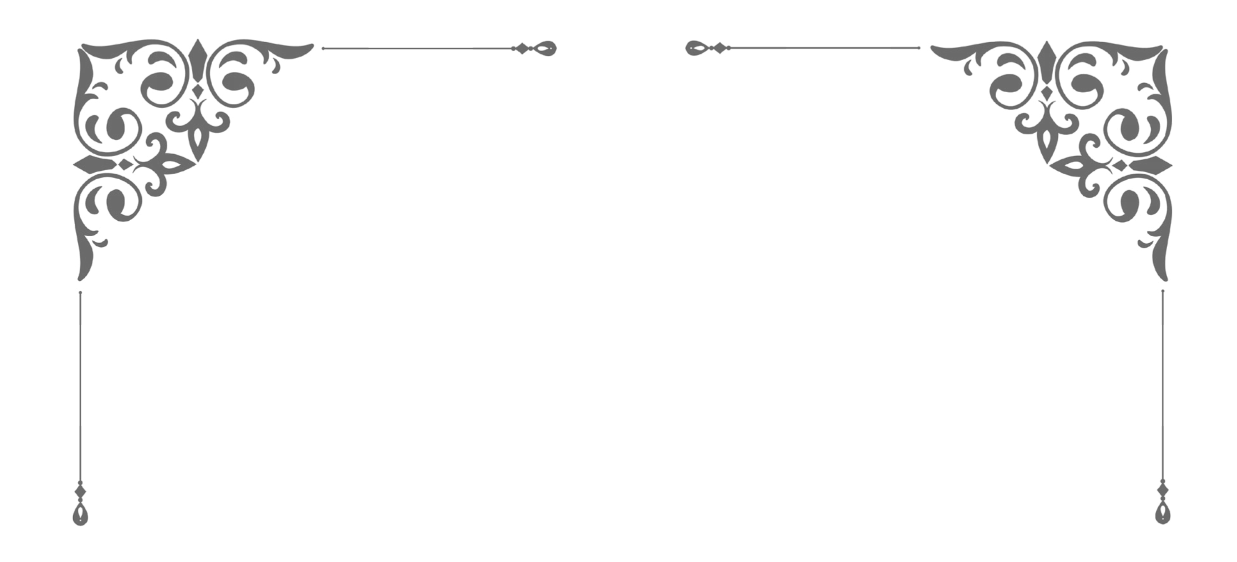
وهناك من صحح الحديث كالمعلمي، والألباني، وغيرهما، وقد ردوا على من ضعف الحديث، ينظر: الأنوار الكاشفة للمعلمي ص (١٨٦-١٨٧)، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (١٨٣٣).



دلالة النبات
على الإيمان بالله تعالى ووجوده

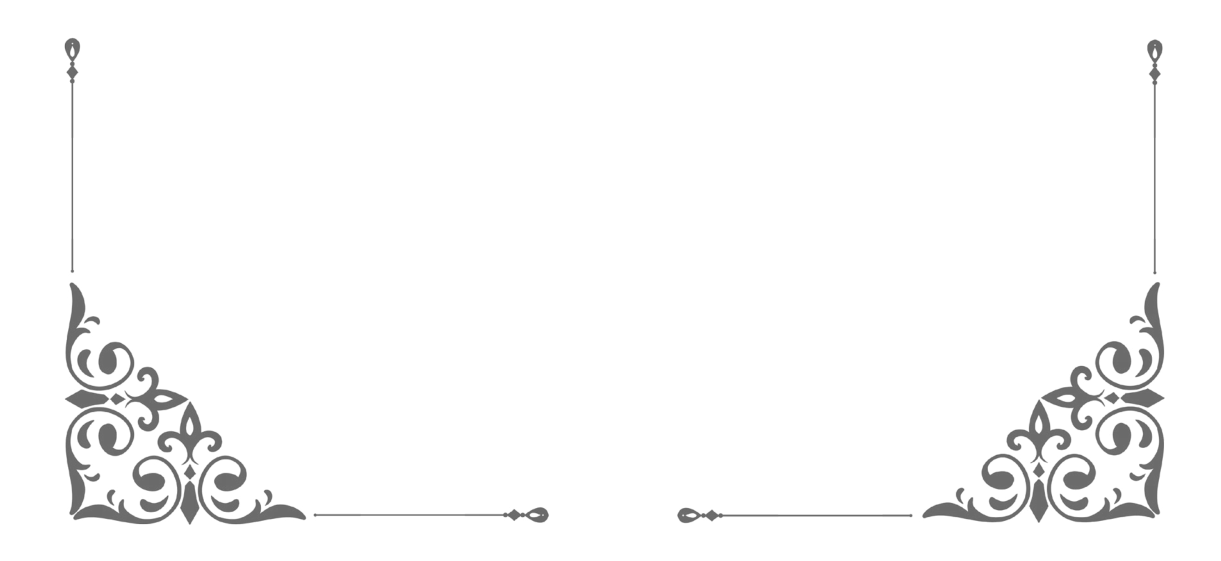
وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

- **التمهيد ، وفيه :** تعريف الإيمان لغة، وشرعًا.
- **المطلب الأول:** الدلالة الفطرية للنبات على وجود الله تعالى.
- **المطلب الثاني:** الدلالة العقلية للنبات على وجود الله تعالى.
- **المطلب الثالث:** الدلالة الشرعية للنبات على وجود الله تعالى.
- **المطلب الرابع:** استدلال السلف على وجود الله تعالى بما يشاهد في النبات.



تمهيد

تعريف الإيمان لغة، وشرعًا



تمهيد

تعريف الإيمان لغة، وشرعًا

أ) تعريف الإيمان في اللغة:

■ الإيمان لغة:

مصـدر آمن يؤمن إيمانـًا فهو مؤمن، وأصل آمـن أأمن بهمزتين لينت الثانية، وهو من الأمن ضد الخوف(١).

■ وله في لغة العرب استعمالان:

١. فتارة يتعدى بنفسـه فيكون معناه التأمين، أي: إعطاء الأمان، وأمنته ضد أخفتـه، وفي الكتاب العزيـز: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [سورة قريش: آية ٤]، فالأمن ضد الخوف.

٢. وتارة يتعدى بالباء أو اللام فيكون معناه التصديق.

قال تعالـى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [سـورة يوسـف: آية ١٧]، أي: بمصدق، وآمنت بكذا أي: صدقت، والمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر.

وقـد اختار شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنـى (الإقـرار) للإيمان في اللغـة؛ لأن لفظـة أقر أصـدق في الدلالة والبيـان على معنى الإيمان الشـرعي من غيرها؛ لأمور وأسـباب ذكرها، ثم ناقشـها بالمعقول، ورد على قول من ادعى أن الإيمانمرادف للتصديق، وذكر فروقـًا بينهما، تمنع دعوى الترادف.

---

(١) ينظر: الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧١)، لسـان العرب لابن منظور (١٣/ ٢٣)، تاج العروس للزبيدي (٣٤/ ١٨٧).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكان تفسيره أي: الإيمان، بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أنَّ بينهما فرقًا»[(١)].

وقال أيضًا: «ومعلوم أن الإيمان هو: الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد»[(٢)].

فالمعنى المختار للإيمان لغة هو: الإقرار، والاعتراف المستلزم للقبول، والإذعان وهو مطابق للشرع.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه، فنقول مثلاً: صدقته، ولا نقول: آمنته؛ بل نقول: آمنت به، أو آمنت له، فلا يمكن أن نفسر فعلاً لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعد ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة «صدقت» لا تعطي معنى كلمة «آمنت» فإن «آمنت» تدل على طمأنينة بخبره أكثر من «صدقت».

ولهذا لو فسِّر الإيمان بالإقرار لكان أجود، فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق، فتقول: أقر به، كما تقول: آمن به، وأقر له كما تقول: آمن له»[(٣)].

ب) تعريف الإيمان في الشرع:

اتفق أهل السنة على أنَّ الإيمان: قول، وعمل، واعتقاد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩١).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٦٣٨).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٢٣٠).

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: «الإيمان: قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر»[1].

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم مختلف في أن الإيمان: قول، وعمل، يزيد وينقص»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول، وعمل، ونية، وتارة يقولون: هو قول، وعمل، ونية، وإتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح»[3].

ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد، فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول، وعمل، أراد قول القلب، واللسان، وعمل القلب والجوارح.

ومن زاد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد «قول القلب»، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية «عمل القلب»، فزاد ذلك[4].

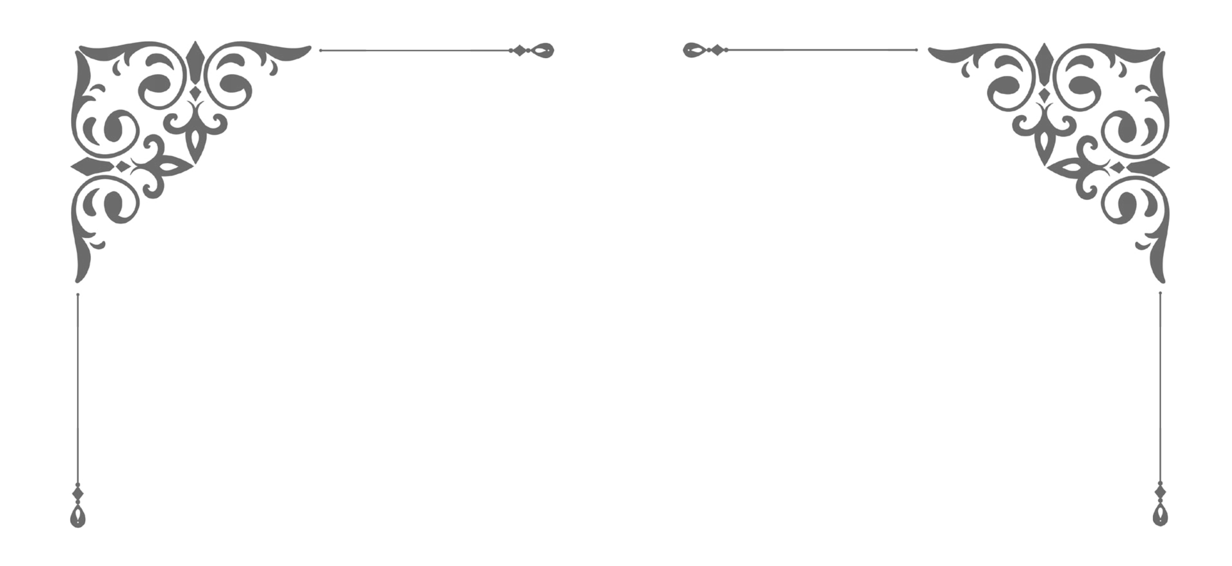
---

(١) الإيمان لابن تيمية ص (١٦٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٧).

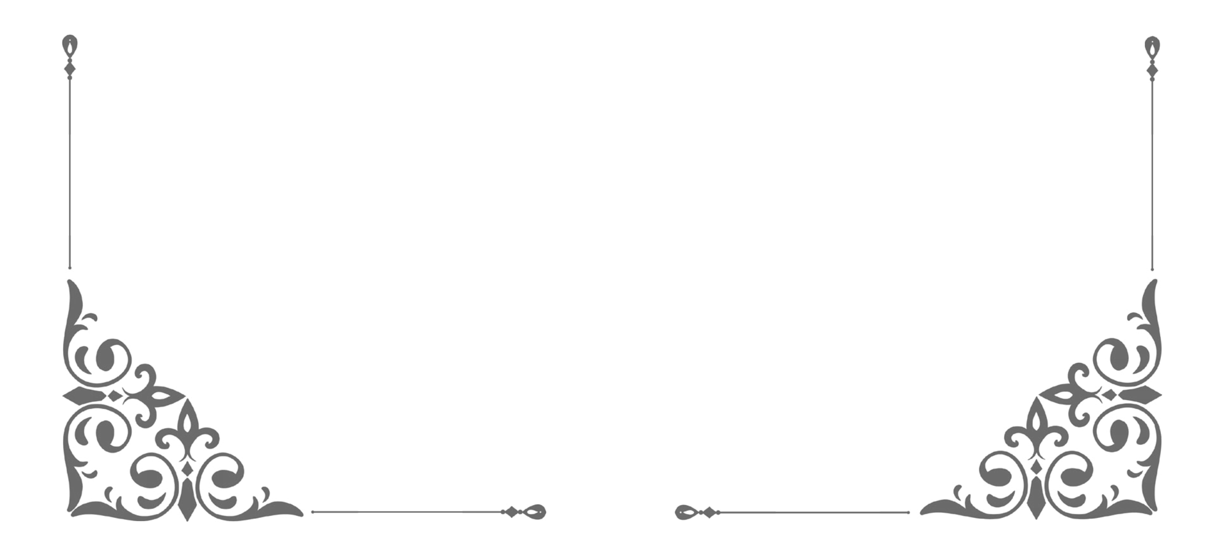
(٣) الإيمان لابن تيمية ص (١٣٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق.



المطلب الأول

دليل الفطرة بالنبات
على وجود الله تعالى



المطلب الأول

دليل الفطرة بالنبات على وجود الله تعالى[1]

يمكن تقسيم دليل الفطرة بالنبات على وجود الله إلى قسمين:

١) ما فطر الله الإنسان عليه من الإقرار بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **:**

إن الفطرة من أهم مصادر معرفة الإنسان بربه وإيمانه به، والفطرة: هي الشعور المغروس في النفس الإنسانية بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو شعور فطري فطر الله الناس عليه، وهو الغريزة الدينية التي هي الإسلام.

وقد جاء الإسلام مصدقًا لما اقتضته الفطرة السليمة، والتي دفعت الإنسان إلى الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون، خلق الموجودات وأبدعها من العدم، والقرآن الكريم أيقظ العقول ونبهها إلى ما فطر الله الإنسان عليه من الإقرار بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يظهر ذلك جليًا من خلال:

أ) استفهامات التقرير بالربوبية:

* كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ

---

(١) ينظر: دلائل التوحيد للقاسمي ص (٢٢)، الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها د. علي القرني ص (٢٧٧)، العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية أحمد بن حجر (١/ ٢٩)، دعوة الفطرة يوسف أبو هلالة ص (١٠٢)، الله بين الفطرة والدليل محمد حسن ص (٨)، الأدلة العقلية النقلية د. سعود العريفي ص (١٩٨)، العقيدة والفطرة د. صابر طعيمة ص (٤٠٨).

ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة النمل: آية ٦٤].

* وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة السجدة: آية ٢٧].

* وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الزمر: آية ٢١].

* وقوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٢].

ب) تذكير الإنسان بآيات الله التي يقرُّبها بفطريته:

* إن الفطرة قد دفعت الإنسان إلى الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون، ومنه النبات بمختلف أشكاله وألوانه كما في قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة يس: آية ٣٣].

* وقوله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة ق: آية ٧].

* وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٩].

* وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الرعد: آية ٣].



* وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)﴾ [سورة طه: آية ٥٣].

والآيات في هذا الباب كثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

٢) ما فطر الله سائر المخلوقات عليه ومنها النبات على معرفته وتسبيحه وتنزيهه:

* دل على ذلك قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الإسراء: آية ٤٤].

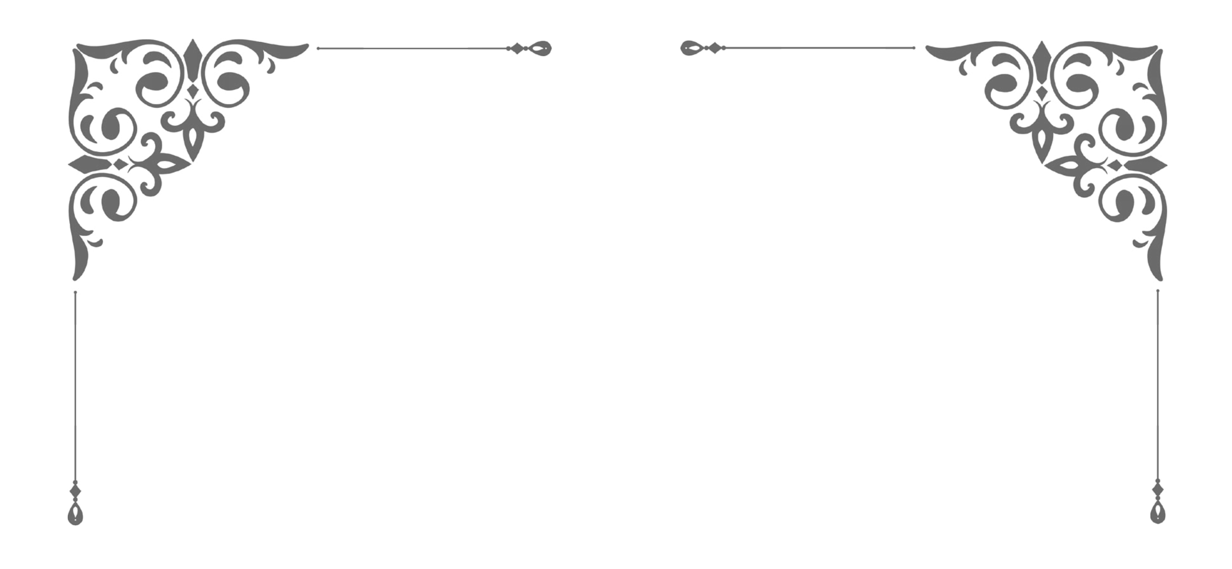
* وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨)﴾ [سورة الحج: آية ١٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)﴾ [سورة الرحمن: آية ٦].

فالخلق كلهم مفطورون على معرفة الله والإقرار بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إلا من فسدت فطرتهم، وهم قلة من الخلق، دفعهم الهوى والانغماس في الشهوات إلى الإلحاد، وإن أقرَّت نفوسهم بالربوبية كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [سورة النمل: آية ١٤].

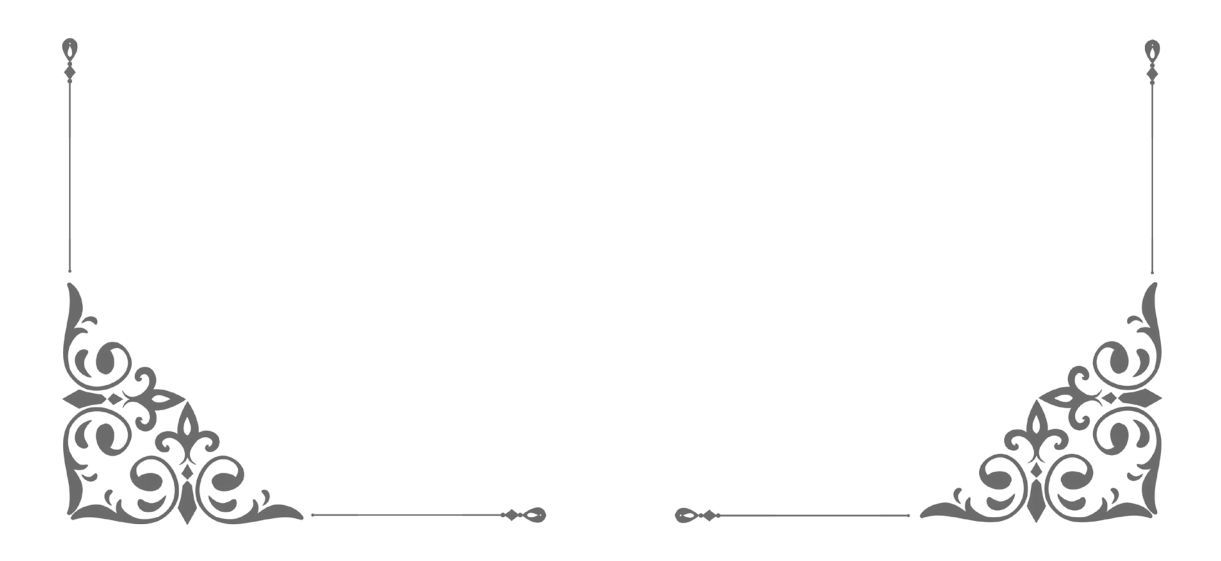
ومثل هؤلاء يحتاجون للأدلة العقلية على وجود الله، وهو الدليل الثاني على وجوده تعالى.

***



المطلب الثاني

الدلالة العقلية للنبات
على وجود الله تعالى



المطلب الثاني

الدلالة العقلية للنبات على وجود الله تعالى[1]

البراهين العقلية على وجود الله تعالى لا تعد ولا تحصى، فكل شيء يدل على وجود الله تعالى، ومن المعلوم بداهة أن كل موجود يدل على مُوجِد، وكل أثر يدل على مؤثر، وما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرة الله تعالى، وما ثم إلا خالق ومخلوق، والمخلوق يدل على خالقه بداهة، وفطرة، وعقلاً قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [سورة الزمر: آية ٦٢]، وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ [سورة يس: آية ٣٦].

والنبات خلق من مخلوقات الله تعالى، وأثر من آثار وجوده وقدرته، قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [سورة الروم: آية ٥٠].

وقد كان العرب في الجاهلية يقسمون بربهم وبخلقه للنبات، ومن ذلك قولهم: «لا والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة»، وقولهم: «لا والذي سجد له النجم والشجر»[2].

ويقال لكل من جحد الخالق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، من الذي أوجد هذه البذور والأشجار التي تملأ الأرض؟ ترى الأرض هامدة شهباء من الجدب والقحط،

---

(١) ينظر: العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية احمد بن حجر ص (٣٠)، دعوة الفطرة لأبي هلالة ص (١٠٢)، المعرفة للقرني ص (٢٣).

(٢) إيمان العرب في الجاهلية إبراهيم النجيرمي ص (١٩).

فإذا أنزل الله عليها الماء أنبتت من كل زوج بهيج، أين كانت هذه البذور؟! ومن الذي أخرج منها الأشجار، وأصناف الثمار؟! كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [سورة الحج: آية ٥]، ومن تربة واحدة، وبماء واحد، يخرج الله أصناف الثمار، فهذا حلوٌ، وهذا مرٌّ، وهذا أحمر، وذاك أصفر!!!

ومن الذي خلق النبات في أعماق المحيطات؟! وفي قمم الجبال والمرتفعات؟! وبين الثلوج، وفي الصحاري والقفار؟!

إنه الله الواحد القهار.

وأيضاً فإنك إذا نظرت إلى تلك الزهرة الجميلة، ذات الرائحة العطرة، والألوان الزاهية المتعددة، وسألت نفسك من الذي أودع فيها العطر؟! وكيف تجمعت فيها تلك الألوان؟! علمت علم اليقين أن الله وحده لا شريك له هو الذي خلق فسوى، وقدر فهدى.

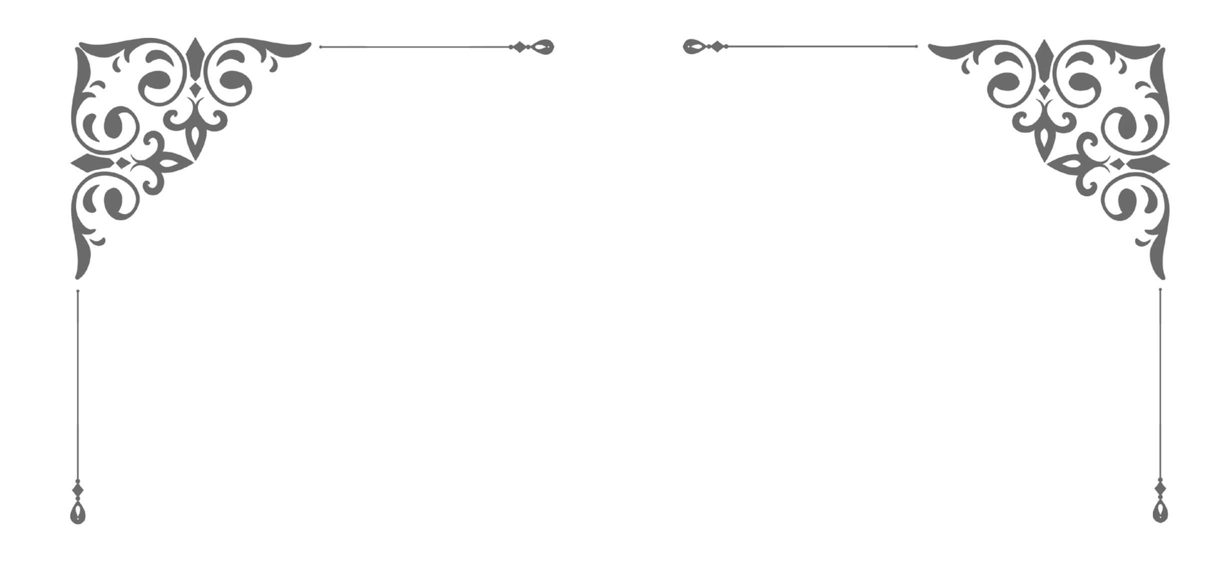
يقول عالم النبات آسا جراي[1]: «إن ما تنقله العلوم من عالم المجهول، إلى عالم الطبيعة، لا ينال من الإيمان، أو يتعارض معه، فالعلوم تسير في نفس الاتجاه الذي تسير فيه الطبيعة، وعلى ذلك فإن وظيفة العلوم هي العمل على أن ترد ظواهر الكون في نشأتها الأولى إلى قدرة الله وجلاله»[2].

❊❊❊

---

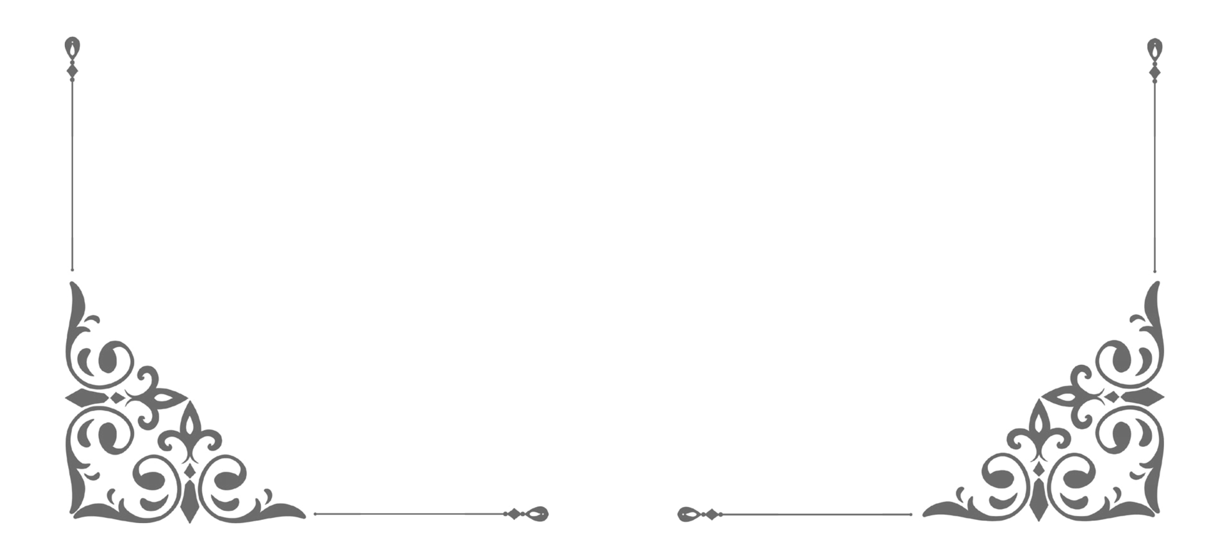
(١) عالم نبات أمريكي، ولد عام ١٨١٠م له مساهمات وتجارب في علم النبات، وكان من أوائل المؤيدين للنظرية الداروينية توفي عام ١٨٨٨م. ينظر ترجمته في: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص (٦٥).



المطلب الثالث

الدلالة الشرعية للنبات
على وجود الله تعالى



المطلب الثالث

الدلالة الشرعية للنبات على وجود الله تعالى

يمكن القول بان كل ما ذكر في القرآن من مخلوقات، ومربوبات فإنه يتضمن دلالة هذه المربوبات على ربها، وعلى وجوده، فهي آثارٌ تدل على وجود مؤثرها، فدل ذلك على أن القرآن لا تكاد تخلو منه سورة، إلا وفيها دليل وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وقد ركز القرآن الكريم على أربعة أصناف من المخلوقات في خطابه للعقل البشري، بما لا يدع مجالاً للشك في وجود الله تعالى، وأول هذه المخلوقات هو:

١. **الإنسان نفسه**، وما تضمنه هذا المخلوق من تعقيدات، وأمور لا يمكن أن تكون إلا بقدرة قادر حكيم، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة الطارق: آية ٥-٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الطور: آية ٣٥].

٢. **الحيوان**: وما اشتمل عليه من دقة ونظام، لا يمكن تحققها عفويًا، او مصادفةً قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [سورة فاطر: آية ٢٨]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ﴾ [سورة الملك: آية ١٩].

٣. **الجماد**: ومنه السموات والأرض بما فيها من جبال وأنهار وغيرها. قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة النازعات: آية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ١٩٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

٤. **النبات:** وهو موضوع بحثنا، وقد تنوعت الآيات في كتاب الله تعالى الدالة على عظمة الخالق وعلى ربوبيته على خلقه، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الواقعة: آية ٧١-٧٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة طه: آية ٥٣].

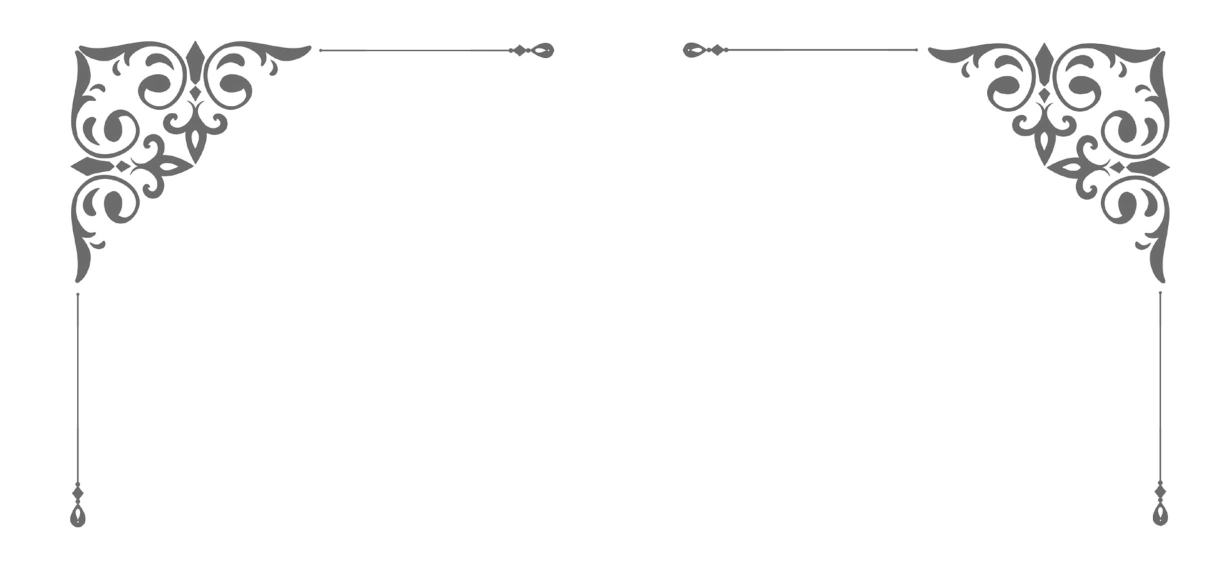
وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النمل: آية ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الحجر: آية ١٩].

وجميع هذه الآيات الكونية التي نطق بها القرآن الكريم، يشهد الواقع على صدقها، مما يدل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به[(١)].

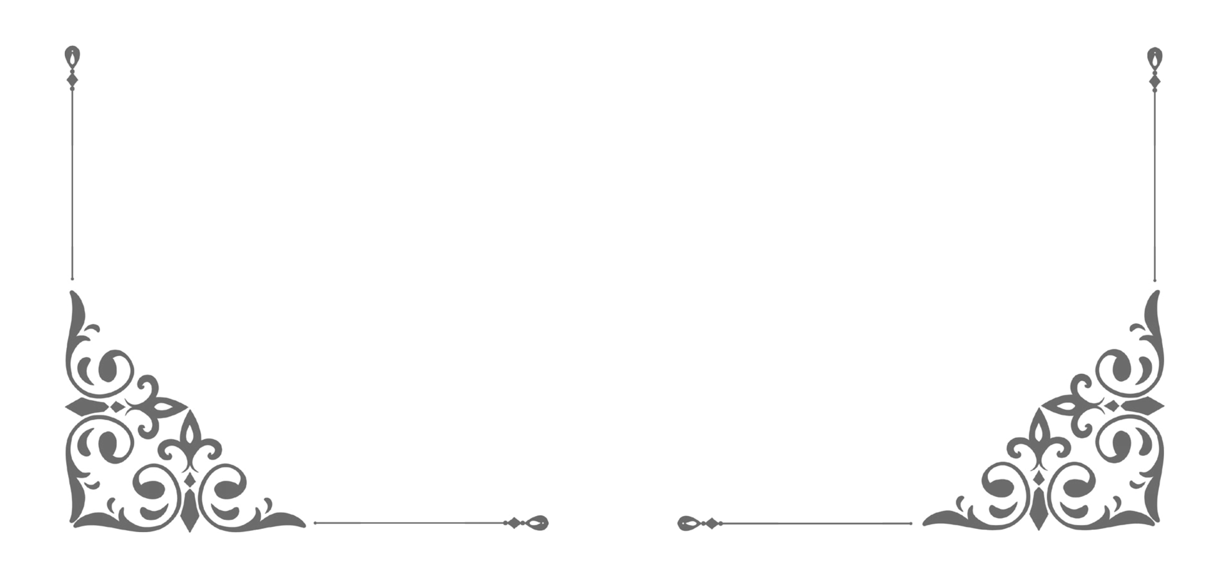
❊❊❊

(١) ينظر: أصول الإيمان لابن عثيمين ص (١٥)، المقدمات في أصول الدين للبريكان ص (٦٣).



المطلب الرابع

استدلال السلف على وجود الله
بما يشاهد في النبات



المطلب الرابع

استدلال السلف على وجود الله بما يشاهد في النبات

من تأمل في الموجودات علم قدرة خالقها، وحكمته، وعلمه، وإتقانه، وعظيم سلطانه، وكل ما في الكون من سماوات وأرضين ونبات وبحار تدل على عظمة الواحد القهار.

وقد سئل الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن وجود الله تعالى فقال: «هذه ورقة التوت طعمه واحد، تأكله الدود -يعني دودة القز- فيخرج منه الإبريسم -وهو الحرير- وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة، والبقر، والأنعام فتلقيه بعرًا، وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد».

وقال بعض الأعراب وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله! البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج! ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وعن الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أُخْبِرَتُ عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر مُوخَرَة فيها أنواع المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب، وتجيء، وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن سوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل! فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العلوي، والسفلي، وما

اشتملت عليه من الأشـياء المحكمة ليس لها صانع؟! فَبُهِت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

وعن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سـئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب والإبريز، فبنا هو كذلك إذا انصدع جداره فخرج منه حيوان سـميع بصير ذو شـكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منه الدجاجة.

وسئل أبو نواس[1] عن ذلك فأنشد:

تـأمـل في نـبـات الأرض وانـظر ... إلــى آثـــار مـــا صـنـع الـمـلـيـك

عـيـون مـن لـجـين شـاخـصـات ... بـأحـداق هـي الـذهـب السبيك

على قُضُب الزَّبَرْجَد شاهدات ... بـأن الله لـيـس لـه شـريـك[2]

❊❊❊

(١) الحسن بن هانئ بن صباح، شاعر العراق، قال ابن عيينة: هو أشعر الناس، وقال الجاحظ: ما رأيت اعلم منـه باللغة، وكان كثير المجون في شـعره، ولقب أبو نواس بهـذا لذؤابتين كانت تنوس على عاتقيه أي: تضطرب، توفي سـنة ١٩٨ هـ. تنظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٢٧)، تاريخ الإسـلام للذهبي (١٣/ ٥٠٩)، العبر في خبر من غبر للذهبي (١/ ٣٢١)، المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ١٦).

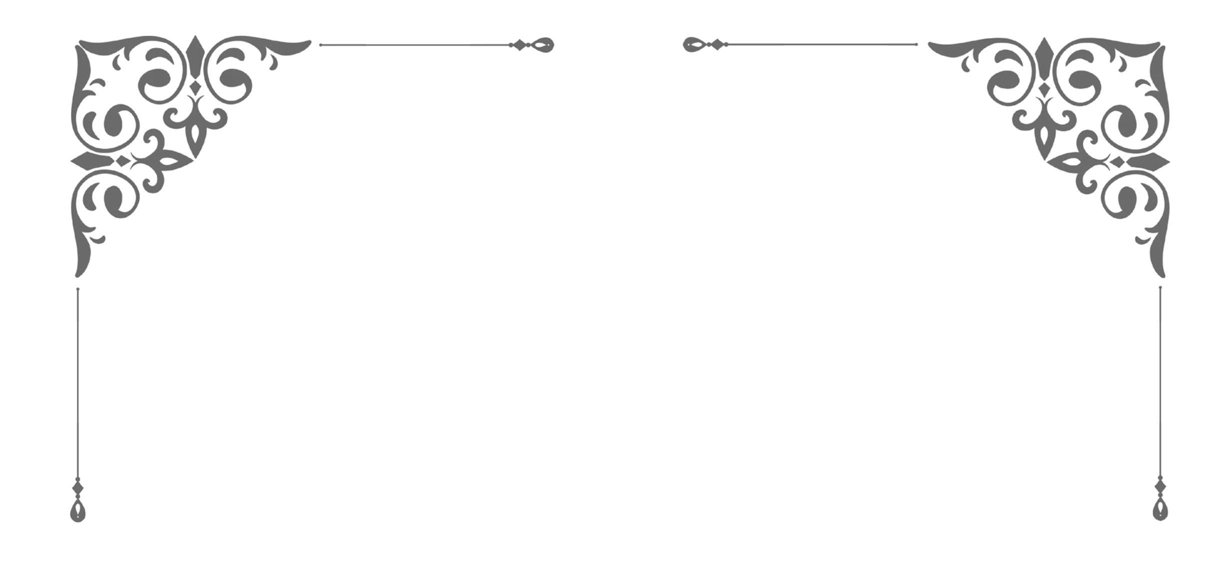
(٢) تفسـير ابـن كثيـر (١/ ٥٩-٦٠). وينظر: معـارج القبـول للحكمـي (١/ ١١١)، تلبيـس إبليس لابن الجوزي ص (٥٥)، تفسير الثعلبي (٣/ ٣٢)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٦٢).

المبحث الثاني

دلالة النبات على ربوبية الله تعالى

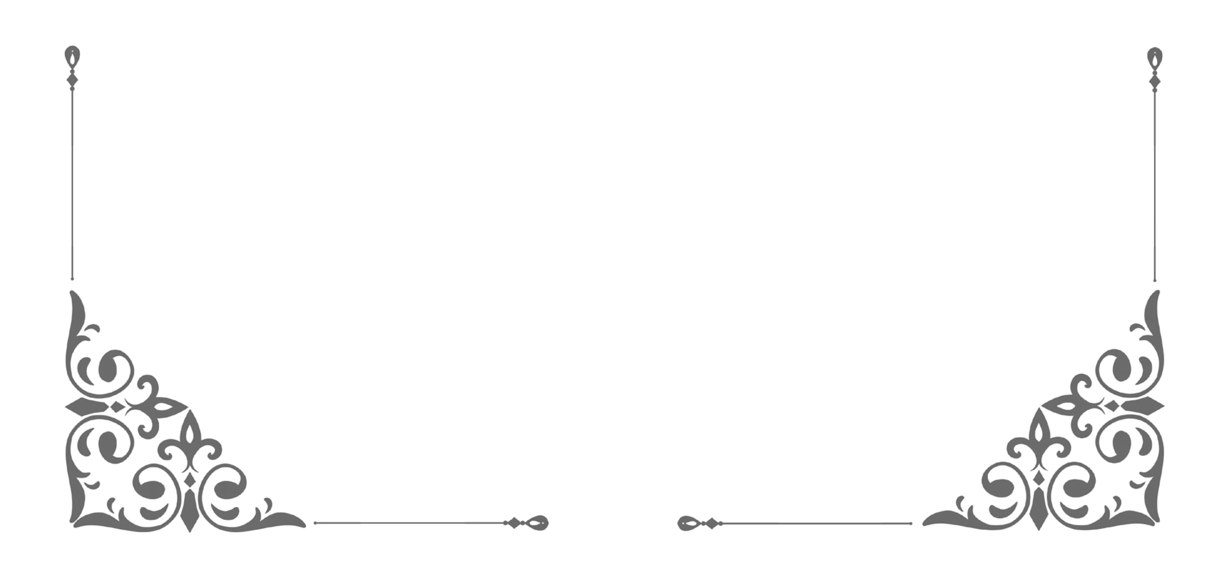
وفيه تمهيد، وخمسة مطالب:

- **التمهيد:** معرفة النبات لربه.
- **المطلب الأول:** دلالة خلق النبات على ربوبية الله تعالى.
- **المطلب الثاني:** دلالة العناية، والحكمة بالنبات على ربوبية الله تعالى.
- **المطلب الثالث:** دلالة الإتقان والإحكام بالنبات على ربوبية الله تعالى.
- **المطلب الرابع:** دلالة التنوع والتشابه، والاختلاف بالنبات على ربوبية الله تعالى.
- **المطلب الخامس:** الرد على نظرية التطور في النبات.



تمهيد

معرفة النبات لربه تعالى



تمهيد

معرفة النبات لربه تعالى

الكون كله يعرف الله تعالى، ويسبح بحمده، ويقدسه، ويؤمن به ربًا وإلهًا، إلا من شذَّ من كفرة الجن والإنس، وأما ما عداهم من سائر المخلوقات، من الملائكة الكرام، والإنس والجن، والنبات والجماد، كل أولئك منقادون لأمر الله، حتى الجبال فإنها تسقط من خشية الله، تعظيمًا وإجلالاً له عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [سورة الرحمن: آية ٦]، وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [سورة الإسراء: آية ٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى: تقدسه السموات السبع، والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتجلُّه وتكبره، عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته:

فـفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل على أنـه واحـد»[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الحج: آية ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [سورة آل عمران: آية ٨٣].

وقد جعل الله تعالى لكل مخلوق إدراكًا، يعلمه هو سبحانه، ونحن

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢).

لا نعلمه[1]؛ ولكن الكل يشترك في إجلال الله تعالى وتقديسه وعبادته، ومن خالف في ذلك من كفرة الجن والإنس فإنه يسير في عكس التيار، فالكون في طريق، وهؤلاء في طريق معاكس، وما ظنك بمن هذه حاله، وما أحسن قول الشاعر[2]:

الوحش مجدَّه والطير سبَّحه ... والموج كبَّره والحوت ناجاه

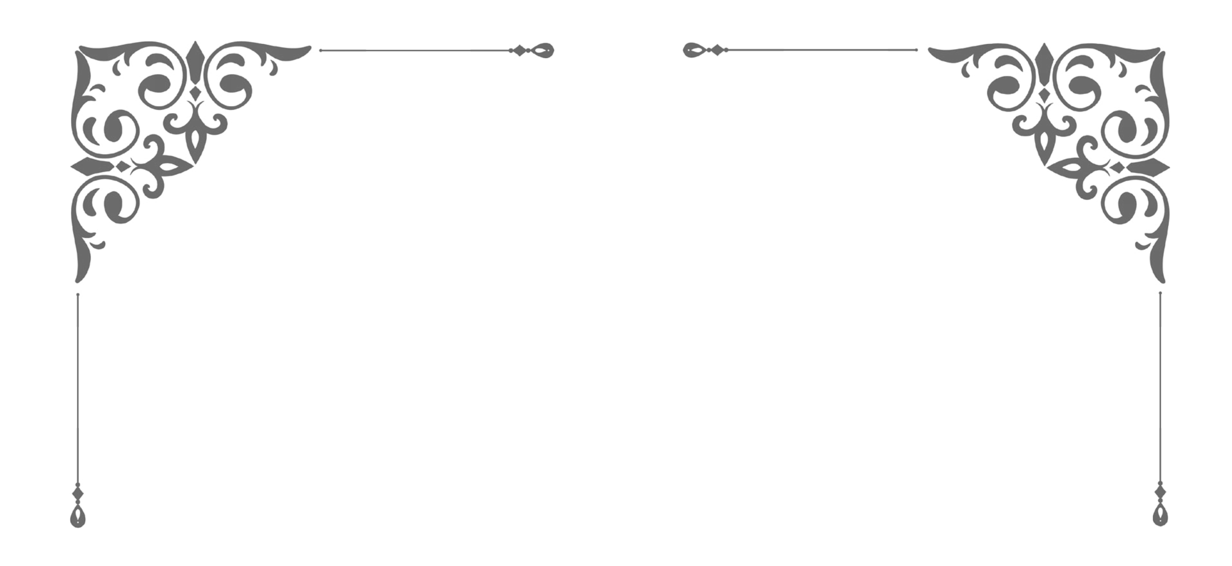
والنمل تحت الصخور الصمِّ قدَّسه ... والنحل يهتف حمداً في خلاياه

والناس يعصونه دومًا فيسترهم ... والعبد ينسى وربي ليس ينساه

***

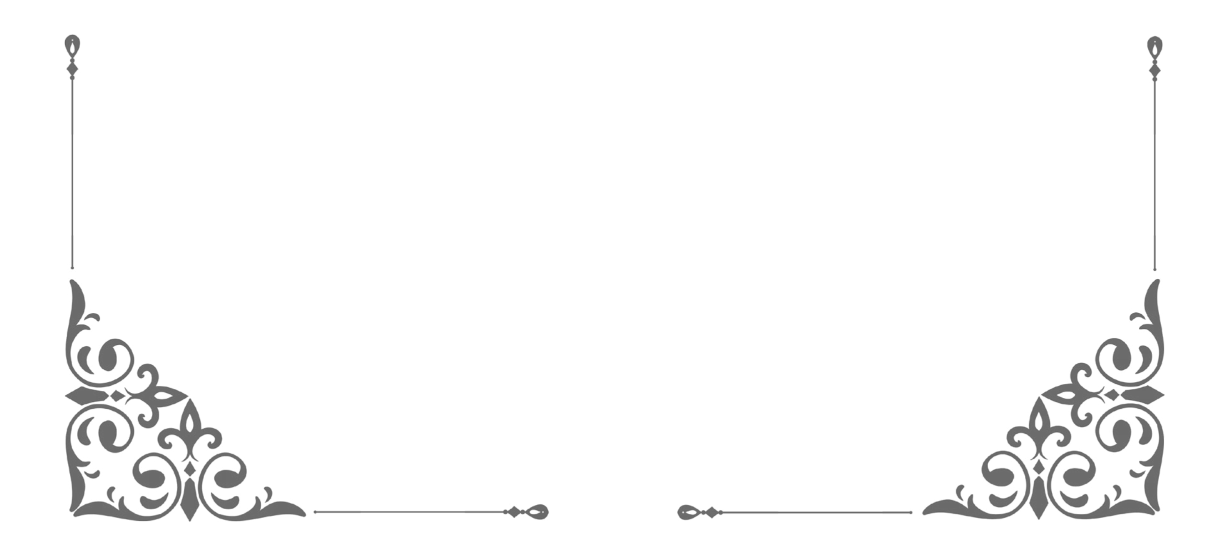
(١) ينظر: أضواء البيان للشيخ الشنقيطي (٦/ ٢٥٨).

(٢) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة محمد النابلسي (٢/ ٣٢).



المطلب الأول

دلالة خلق النبات
على ربوبية الله تعالى



المطلب الأول

دلالة خلق النبات على ربوبية الله تعالى

لقد تحدث القرآن الكريم عن دلالة الخلق والإيجاد على ربوبية الله تعالى بطريقتين:

١) الدلالة العامة على خلق الله تعالى لسائر مخلوقاته:

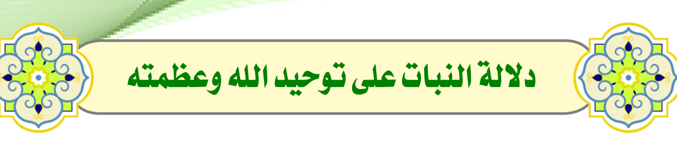
* كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢﴾ [سورة الزمر: آية ٦٢].

* وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [سورة الأنعام: آية ١٠٢].

* وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٤].

٢) الدلالة الخاصة لبعض مخلوقات الله تعالى:

كالسموات، والأرض، والإنسان، والحيوان، والنبات، وهو ما سنتحدث عنه في دلالة خلق النبات على ربوبية الله تعالى، والذي يحتاج إلى مجلدات في كل جزئية منها، فالعلم الحديث لم يستطع أن يحصي عدد النبات الذي لا يعلمه إلا الذي خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونحن لن نصول، ولن نجول في السهول، والأودية، والمرتفعات، ونتحدث عن عالم النبات الذي لا يعد ولا يحصى، ولن نخوض أغمار البحار؛ لنكتب عن إبداع الله في خلقه، لما لا حصر له من النباتات البحرية، ولن نتحدث عن الأزهار والأشجار التي تعيش في بيئة قاسية في وسط الثلوج، في القطب المتجمد، فهناك أنواع من الزهور الجميلة تعيش بدون وسائل التدفئة، وتقاوم البرد الشديد، بما خصها الله به من أسرار يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بل سأتحدث في هذه العجالة عن آية واحدة من آيات الله في عالم النبات، آية



صغيرة الحجم، كبيرة القدر، لا يستغني عنها الإنسان، فهي أهم مصدر لغذائه، ألا وإنها آية «الحبوب»، و«البذور»، وقد ذكر الله تعالى الحبوب في كتابه العزيز اثنا عشرة مرة منها:

* قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦١].

* وقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٩].

* وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٩].

* وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة يس: آية ٣٣].

* وقوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الرحمن: آية ١١].

* وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة النبأ: آية ١٥].

* وقوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة عبس: آية ٢٧].



ويظهـر جليـاً صنع الله في هـذه الحبة البسـيطة، فبعـد أن ينـزل المطر على سـطح الأرض، وعلى مرأى سائر البشـر، كبيرهم، وصغيرهم، ذكرهم، وأنثاهم، مسلمهم وكافرهم، تحدث المعجزة الإلهية، والآية الربانية، التي حيرت العلماء، والحكماء، وحتى الملحدين لا حيلة لهم في الإجابة عن السـؤال الذي يقابلهم به كل مسلم، وهو:

* من أين جاءت هذه الحبوب والبذور ابتداء؟
* وكيف دبَّت الحياة في الأرض الميتة؟
* ومن الذي أحياها بعد موتها؟!

إنها مجـرد حبة تسـقط في الطين، وما تلبـث أن تنفلق عـن الأرض وتتصدع، ويخـرج منها وَشْـمٌ أخضر هزيل بشـقين متقابلين، يشـق الأرض الصلبة مع شـدة ضعفـه؛ بل ويتحدى حتى الصخور الصماء، فينفذ من خلالها ثم لا تزال هذه النبتة الضئيلة الخضراء تتجه إلى اتجاهين متعاكسين، جزء منها يهبط إلى الأرض، والآخر يرتفع إلـى الأعلى، حتى تتمكن جذورها من الأرض، وتمتد أغصانها في السـماء، لتثمر وتقاوم العواصف والرياح، ثم لا تزال تنمو وتقوى، وتتفرع أغصانها، وتخرج منها الأوراق، والأزهار والأكمام والثمار، والسـنابل اليانعة، فكيف تنوعت الثمار مـع اتحاد البـذور، والتربة، والهواء، والماء، والحـرارة، والرطوبة، وكيف انفلقت الحبـة، ومن فلقها، وكيف انقسـمت إلـى جزءين، منها ما غـار في أعماق الأرض، ومنها ما ارتفع إلى سطحها، فإن كان طبعها الهبوط فلم ارتفع القسم الأعلى منها؟ وإن كان طبعها الارتفاع فلم هبط القسم الأسفل منها؟[١]

---

(١) ينظر: العقيدة في ضوء العقل والعلم عبد الغني النابلسي ص (٢٠).

وقد أشار الله تعالى في كتابه العزيز إلى هذه الآية العظيمة الدالة على ربوبيته وألوهيته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى، أي: يشقها في الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها، من الحبوب، والثمار، على اختلاف ألوانها وأشكالها، وطعومها، من النوى، ولهذا فسر قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ أي: يخرج النبات الحي، والنوى الذي هو كالجماد الميت»[1].

وسنتحدث عن آية الحب والنوى ودلالتها على ربوبية الله تعالى من الناحية العلمية الحديثة من وجوه متعددة:

الوجه الأول: تعتبر هذه الآية الكريمة من آيات الإعجاز الإلهي في الخلق، فالآية على إيجازها تضمنت العديد من الحقائق العلمية التي لم يسبق إليها أحد قبل القرآن الكريم، يتجلى ذلك من عدة نواحي[2]:

١. أن الآية قد فرقت بين الحب والنوى، ومن المؤكد أن الحب غير النوى، فالحبة ثمرة كاملة مثل: حبوب الذرة، والحنطة، والشعير، أما النوى فهو من البذور، وهي جزء من الثمرة، ومن أمثلتها: نوى البلح، والنبق،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٥٩).

(٢) ينظر: النبات في القرآن الكريم د. زغلول النجار (٣/ ٤٤)، سبعون برهاناً علمياً على وجود الله ص (١٩٣)، عجائب النظر والتأمل في عظمة الله أسامة الناعسة ص (٣٢١)، بين العلم والقرآن د. جميل دويك ص (٧)، علم أحياء النبات العلمي د. إبراهيم عارف ص (٢٣٣) وما بعدها، معجزة النبات هارون يحيى ص (٦٢) وما بعدها.

والخوخ، والعنب، وبذور الفول، والفاصوليا، وهذا التفريق بين الحب والنوى، سبق به القرآن التقسيم الحديث للبذور والثمار.

٢. أن الآية ربطت بين عملية انفلاق الحب والنوى، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي، وهنا تتجلى عظمة الله تعالى، فالمواد الميتة المدخرة في الحبوب والبذور كلها مواد ميتة، ولكن عندما تَعْبُر أغشية الجنين تدب فيها الحياة، وتتحول إلى خلايا حية غير ميتة، فمن يستطيع تحويل المواد الميتة إلى مواد حية؟ ذلكم الله رب العالمين.

٣. من الحقائق العلمية أن البذرة جنيني حي صغير في حالة سكون، أو كمون، وأن جميع العمليات الحيوية، من تنفس وتغذية، تحدث فهي في أقل درجة نشاط بحيث يبقى الجنين الذي هو داخل البذرة حيًا أطول فترة ممكنة في حدود الظروف البيئية الخارجية والداخلية للبذرة، ويتكون هذا الجنين من نفس الأعضاء الأساسية التي يتكون منها النبات الكبير، وحتى ينبت هذا الجنين فلا بد أن يكون حيًا، فالجنين الميت لا ينبت، ولا تستطيع كل أبحاث الدنيا ومختبراتها ومزارعها أن تحييه أو تنبته.
فمن وهب هذا الجنين الحياة؟ هل هي الطبيعة الصماء الميتة، كما يدعي الداروينيون؟! أم الصدف العمياء والطفرات المعيبة؟ أم أنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحي القيوم رب كل شيء ومليكه القادر على إخراج الحي من الميت؟

٤. أنه بعد أن تتهيأ وتتوفر جميع الشروط اللازمة للإنبات، تحدث في الحب والنوى العديد من التغيرات، حتى ينفلق الحب والنوى، ويخرج الحي من الميت بإذن الله تعالى على النحو الآتي:

أ- تغييرات تحدث في الحب والنوى عند ملامستها للماء سواء كانت الحبة أو البذرة حية أو ميتة، حيث تتشرب الحبة أو البذرة الماء، وتتفتح وتتمزق أغلقتها نتيجة للضغط عليها.

ب- تغييرات تحدث فقط في الحبوب والبذور الحية، حيث تنشط المكونات فيها وتتحول المواد الغذائية المدخرة من مواد كبيرة الحجم معقدة التركيب، لا تنفذ من أغشية الخلايا ولا يستطيع الجنين امتصاصها، تتحول إلى مواد أبسط في التركيب، وأقل في الحجم، يسهل على الجنين امتصاصها وعبورها للداخل عبر الأغشية، وهنا تتحلل الروابط وتزداد البذور في الحجم.

ج- تنشط الخلايا الجنينية وتنقسم ويزداد عددها ووزنها وحجمها على حساب المواد الغذائية المدخرة والماء، وتتحول المواد الغذائية المدخرة من مواد ميتة إلى مكونات للخلايا الحية، وهنا إخراج الحي من الميت، ثم يظهر الجذير خارج الحبة أو البذرة إلى التربة والماء، ثم تظهر الرويشة خارج الحبة أو البذرة(١)، وتتجه إلى الأعلى غالبًا وتعطي الساق الذي يحمل الأوراق والأزهار والثمار والأشواك والمعاليق وباقي الزوائد.

أما النوى الصلد فيتحول بقدرة الله تعالى إلى مادة لينة حلوة الطعم سهلة الامتصاص والتمثيل الغذائي، ويشق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأغلفة المتخشبة بلطفه

---

(١) يتركب الجنين الذي هو بداخل البذرة من نفس الأعضاء الأساسية التي يتركب منها النبات البالغ وهي: الجذور، والساق، والأوراق، ولكن في صورة مصغرة غاية التصغير، فيسمى الجذر الجنيني بالجذير، والساق الجنينية بالريشة، والأوراق الجنينية فلقات. ينظر: شرح مفردات الأحياء العام على موقع جامعة أم القرى.

ورحمته، فيخرج منها الجذير الرقيق، والرويشة الناعمة، ونجد أن الرويشة تنحني حتى تحمي قمتها النامية من الاحتكاك بالتربة ومن الهلاك، والجذير يخترق أعتى أنواع التربة وبهذه تموت الآلاف من الخلايا بالاحتكاك والنمو السريع وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾.

* وهب أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سلب صفة الحياة من الحب والنوى؟ من الذي يستطيع أن يشقها عن الجذير والرويشة؟

* فمن الذي يخرج الأوراق الغضة الخضراء من السيقان الصلبة الجافة عديمة اللون؟

* ومن الذي يخرج الأزهار الجميلة، أو عديمة اللون؟

* ومن الذي يخرج الثمار الحلوة من الأرض السبخة، والماء العكر؟

* ومن الذي أودع في الحبة أو البذور الصغيرة، مواصفات وخصائص الشجرة الكبيرة؟

* ومن حسب لهذا الجنين غير العاقل كمية الغذاء المطلوبة لفترة سكونه وإنباته، حتى يدخرها في أنسجته؛ ليستغلها وقت الحاجة؟!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمل الحكمة في الحبوب، كالبر والشعير ونحوهما، كيف يخرج الحب مدرجا في قشور على رؤوسها أمثال الأسنة، فلا يتمكن جند الطير من أفسادها، والعبث فيها، فإنه لو صادف الحب بارزا لا صوان عليه، ولا وقاية تحول دونه، لتمكن منه كل التمكن، فأفسد وعاب وعاث، وأكب عليه أكلا ما استطاع، وعجز أرباب الزرع عن رده، فجعل اللطيف الخبير عليه هذه الوقايات؛ لتصونه، فينال الطير منه مقدار قوته، ويبقى أكثره للإنسان، فإنه أولى به؛

لأنه هو الذي كدح فيه، وشقي به، وكان الذي يحتاج إليه إضعاف حاجة الطير»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمل حكمته سبحانه في إبداع العجم والنوى في جوف الثمرة، وما في ذلك من الحكم والفوائد، التي منها: أنه كالعظم لبدن الحيوان، فهو يمسك بصلابته رخاوة الثمرة، ورقتها ولطافتها، ولولا ذلك لشدخت وتفسخت، ولأسرع إليها الفساد، فهو بمنزلة العظم، والثمرة بمنزلة اللحم الذي يكسوه الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ العظام، ومنها أن في ذلك بقاء المادة وحفظها، إذ ربما تعطلت الشجرة، أو نوعها، فخلق فيها ما يقوم مقامها عند تعطلها، وهو النوى، الذي يغرس فيعود مثلها، ومنها ما في تلك الحبوب من أقوات الحيوانات، وما فيها من المنافع، والأدهان، والأدوية، والأصباغ، وضروب أخر من المصالح، التي يتعلمها الناس، وما خفي عليهم منها أكثر، فتأمل الحكمة في إخراجه سبحانه هذه الحبوب؛ لمنافع فيها، وكسوتها لحما لذيذا شهيا، يتفكه به ابن آدم، ثم تأمل هذه الحكمة البديعة، في أن جعل للثمرة الرقيقة اللطيفة، التي يفسدها الهواء والشمس، غلافا يحفظها، وغشاء يواريها، كالرمان، والجوز، واللوز ونحوه، وأما ما لا يفسد إذا كان بارزا، فجعل له أول خروجه غشاء يواريه؛ لضعفه، ولقلة صبره على الحر، فإذا اشتد وقوى، تفتق عن ذلك الغشاء، وضحى للشمس والهواء، كطلع النخل وغيره»[٢].

الوجه الثاني: لقد أبدع الله تعالى آية عظيمة في الحبوب تتجلى بها عظمته، وقدرته، وهذه الآية هي آية المصنع الأخضر، الذي يسمى في العلم الحديث

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٢٧).

«اليخضور»[1] الذي يوجد في أوراق النبات وينتج غذاء الكائنات من الحبوب دون ضجيج، أو مخالفات تفسد البيئة[2] قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٩]، وقبل الحديث عما قاله علماء النبات في هذه الشأن لا بد من ذكر أقوال المفسرين في معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: أخضر، والخضر: رطب البقول، وهو ما يتشعب من الأغصان الخارجة من الحبة.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يريد القمح، والشعير، والذرة، والأرز، وسائر الحبوب»[3].

وقوله تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني: يَخْرج من ذلك الخضر حبـًا متراكبـًا بعضه على بعض، في سنبلة واحدة[4].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذه الآية:** «أمر سبحانه بالنظر إليه -أي إلى الثمر- وقت خروجه وإثماره، ووقت نضجه وإدراكه، يقال: أينعت الثمار إذا نضجت وطابت؛ لأن في خروجه من بين الحطب والورق آية باهرة، وقدرة بالغلة، ثم

---

(١) المادة الخضراء الملونة للنبات. ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٤١)، الموسوعة الكونية الكبرى د. ماهر الصوفي ص (٢٦٧).

(٢) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة محمد النابلسي (٢/ ١١٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٧/ ٤٧)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٤٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٩٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٠)، تفسير السعدي ص (٢٦٧).

في خروجه من حدِّ العفوصة، واليبوسة، والمرارة، والحموضة إلى ذلك اللون المشرق الناصع، والطعم الحلو اللذيذ الشهي، لآيات لقوم يؤمنون، وقال بعض السلف: حق على الناس أن يخرجوا وقت إدراك الثمار وينعها، فينظروا إليها ثم تلا: «﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾»[1].

يقول علماء النبات: بمجرد ظهور الأوراق الحقيقية على النبتة الناشئة، يزودها خالقها بصبغ أخضر يعرف باسم «اليخضور»[2]، وهذا الصبغ أعطاه الله تعالى القدرة على امتصاص قدر من طاقة ضوء الشمس، وتحويله إلى طلقة كيميائية، يستخدمها في تكوين الكربوهيدرات، من الماء الذي تمتصه جذور النبات، مع العصارة الغذائية من التربة، وثاني أكسيد الكربون الذي تمتصه أوراق النبات من الجو.

وهذه الحبوب التي نأكلها تتكون أساساً من الكربوهيدرات التي تبنيها الصبغة الخضراء، في داخل البلاستيدات الخضراء[3].

وهذا معنى «**الخضر**» في الآية السابقة. والله أعلم.

الوجه الثالث: أن الله تعالى جعل البذرة الرقيقة أقوى من الصخور[4].

فقد ثبت في العلم الحديث أن أشعة الشمس تجعل الصخور تسخن وتتمدد فإذا جاء الليل تقلصت؛ بسبب برودة الجو، ويتوالى التمدد كل نهار، والتقلص كل ليل، فتنشق الصخور الصلبة بإذن الله تعالى.

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٢٠٦).

(٢) تقدم التعريف به ص (٥٠).

(٣) ينظر: النبات في القرآن د. زغلول النجار (٢/ ١٣٦)، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة د. محمد النابلسي ص (٢٣١)، النبات والإنبات والحيوان والحشرات د. خالد العبيدي ص (٨).

(٤) ينظر: قدرة الله مظاهرها من العلم الحديث جمال الدين عياد ص (٧٠-٧١).



وعندما يتسلل ماء المطر إلى هذه الشقوق ويملؤها وتضطره برودة الجو إلى التجمد، نراه يتمدد ضاغطاً على الصخر حتى يتحطم، وعندما تحمل الرياح أو المياه بعض البذور إلى الشقوق التي بين الصخور، حيث القليل من التربة ثم يسقط المطر، تمتص البذور الماء فتتمدد وتنبت، وتخرج من الجذور التي تحفر التربة القليلة، وتنتشر في كل جزء من الشق، ضاغطة على الصخر حتى يتسع الشق باستمرار نحو النبات، وهكذا فإن البذرة الرقيقة التي ربما استطعت أن تكسرها بيدك، والتي لا تحسبها تقوى على شيء، قد أودع الله فيها من القوة ما تزحزح به الصخر الذي يضرب به المثل في الصلابة وقوة التحمل.

الوجه الرابع: مقاومة نبات القمح لما لا يمكن فعله في البنايات الشاهقة[1]:

فمن المعلوم أن مقاومة العمائر الشاهقة لضغط الهواء تقل إذا زادت نسبة الارتفاع إلى العرض عند القاعدة، عند حد معين، وقد يكون من المناسب تبعاً لقواعد الهندسة المعمارية، أن يكون ارتفاع ناطحة السحاب قدر عرضها عند القاعدة إحدى عشرة مرة.

لكن نبات القمح يتراوح قطر ساقه بين ٣-٥ مليمترات بينما يبلغ طوله متراً ونصف المتر.

ومعنى هذا أن ارتفاعه يبلغ قدر سمكه عند القاعدة ٥٠٠ مِثْل تقريباً، ورغم هذه النسبة نجد النبات قائماً ثابتاً، ولو كان بناء بنفس النسبة لهوى إلى الأرض.

فسبحان الله الذي أودع بعض نباتاته هذه المقاومة، والمرونة العظيمة، التي تفوق بمراحل مقاومة المنشآت المعمارية[2].

(١) ينظر: المصدر السابق ص (٧٢).

(٢) المصدر السابق ص (٧٢).

* ونقول لكل من غفل عن آيات الله العظيم المشاهدة في سائر الكون، كما قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة لقمان: آية ١١].

* وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة النمل: آية ٦٠].

* وقوله تعالى: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الرحمن: آية ١٣].

ولو أردنا أن نفصل الحديث في خلق النبات، ونتحدث عن أوراق الأشجار، وأغصانها، وثمارها، وجذورها لطال بنا البحث، وكل جزئية من النبات تحتاج إلى مجلدات، ولكنها إشارة للدلالة على ربوبية الله وعظمته واستحقاقه للعبادة دون سواه.

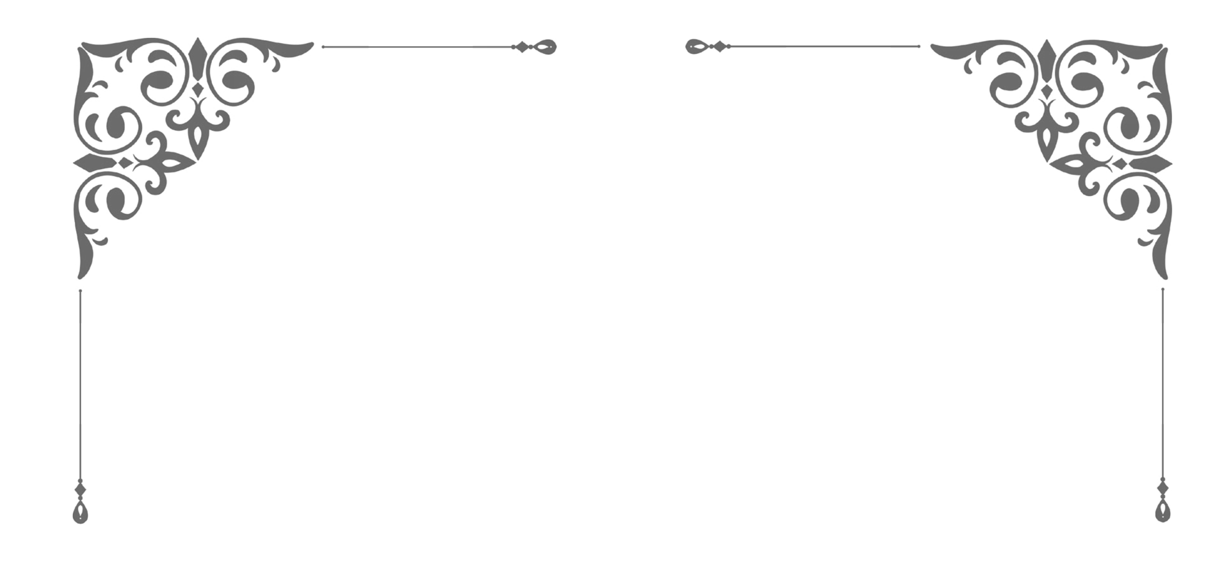




دلالة العناية والحكمة بالنبات على ربوبية الله تعالى

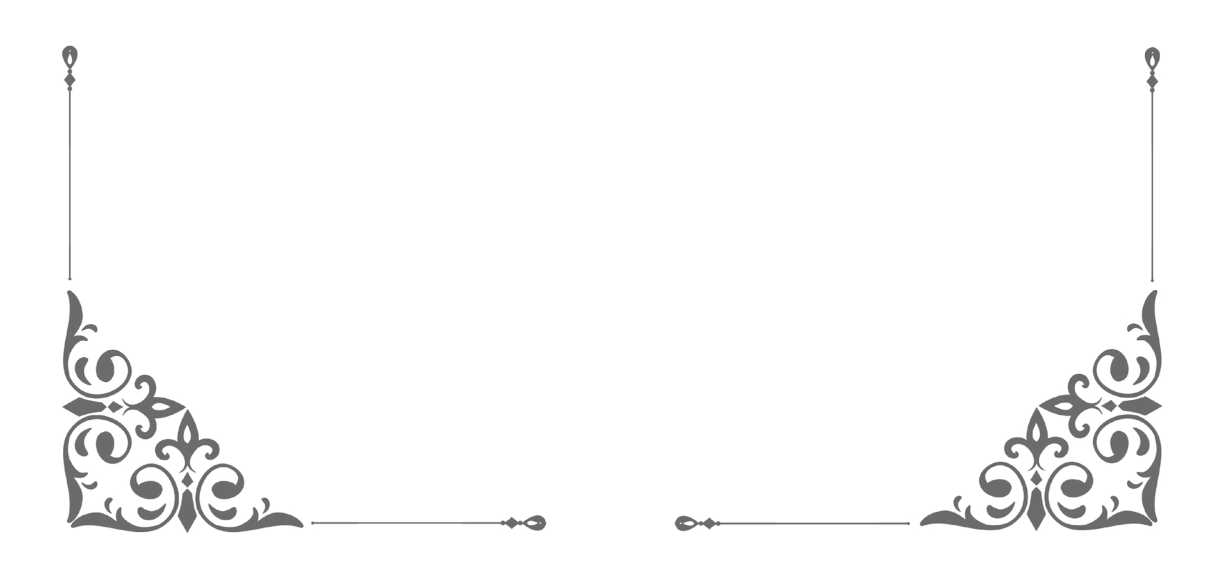
وفيه تمهيد، وست مسائل:

- **تمهيد:** المراد بالعناية والحكمة.
- **المسألة الأولى:** النبات وغذاء الكائنات.
- **المسألة الثانية:** بقاء نوع النبات وتكاثره.
- **المسألة الثالثة:** نقل حبوب اللقاح والبذور ونشرها.
- **المسألة الرابعة:** نمو النبات بميزان وتقدير.
- **المسألة الخامسة:** تناسب النبات مع البيئة.
- **المسألة السادسة:** حفظ الله تعالى للنبات، وحمايته.



تمهيد

المراد بالعناية والحكمة





تمهيد

المراد بالعناية والحكمة[١]

«يراد بالعناية ما نشهده ونحسُّ به، من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عمومًا، وبالإنسان على وجه الخصوص، والذي يتجلى فيما نراه وندركه من موافقة هذه الموجودات للإنسان أتم الموافقة، وكذلك في موافقة هذه المخلوقات بعضها لبعض، وذلك لا يكون قطعًا إلا من قِبَلِ فاعل قاصد لذلك مريد»[٢] وهو الله تعالى.

وهذا الدليل مبني على أصلين:

١. أن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان، فإذا نظرنا إلى أنواع الموجودات كالليل والنهار، والحيوانات والنباتات، وغيرها نجدها موافقة لوجود الإنسان وحياته.

فمعرفة هذه الأشياء والوقوف على منافعها داخل في هذا النمط من الأدلة.

٢. أن موافقة الموجودات لوجود الإنسان وحياته ليس من قبل المصادفة؛ بل هي مقصودة لفاعل قاصد لذلك ومريد له وهذا الفاعل هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[٣].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ٩٤٤).

(٢) الأدلة العقلية النقلية د. سعود العريفي ص (٢٢٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص (٢٢٦-٢٢٧).

وعناية الله تعالى بالإنسـان من خـلال النبات واضحة جلية، فهو مصدر غذاء الكائنات الحية من إنسان وحيوانات برية، وبحرية، وحشرات، وعناية الله تكفلت ببقـاء النبـات على الأرض بعملية متوازنة، ولولا عنايـة الله لهلك النبات، وهلك النـاس جميعـًا، ومن عناية الله بخلقه تنوع النبات، وانتشـاره في كل الأرض ليجد كل مخلوق رزقه في كل مكان.

وأمـا الحكمة في أفعال الله تعالى: فهـي الغاية التي يفعل لأجلها، وتكون هي المطلوبة بالفعل، ويكون وجودها أولى من عدمها[1].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحكمة تتضمن شيئين:

* **أحدهما:** حكمة تعود إليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ - يحبها ويرضاها.
* **والثانـي:** إلـى عباده هي نعمة عليهـم يفرحون بها، ويلتـذون بها، وهذا في المأمورات والمخلوقات»[2].

فكل ما خلق الله خلقه لحكمة تعود إليه يحبها، وأيضـًا فهي للعباد رحمةً بهم ينتفعون بها.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٤٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥).

❁ **وسوف يتركز حديثي في هذا المطلب في المسائل الآتية:**

المسألة الأولى

النبات وغذاء الكائنات

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الكون قبل خلق الإنسان، وذلك من إكرام الله تعالى للإنسان؛ ليعيش على أحسن حال، وأتم نعمة.

* قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٢٩].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٣٠]

فبين الله تعالى أن الكون أعدَّ للإنسان قبل يُخلق وقد جئنا إلى كون معدٌ لنا إعداداً كاملاً.

وقال تعالى ممتناً على خلقه بما أنعم عليهم به من نعمه التي لا ينكرها إلا ملحد ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النازعات: آية ٢٧-٣٣].

وحديثنا عن نعمة واحدة من هذه النعم الكثيرة ألا وهي نعمة النبات، الذي جعله الله أساساً لجميع متطلبات الحياة، من غذاء وكساء، ودواء، ومسكن، كل هذه النعم أساسها ما يخرجه الله تعالى في الأرض من حبوب، وثمار، وأشجار...إلخ.

ومن سنن الله تعالى أن جعل استمرار الحياة في الأرض تكون في وجود النبات، فكما لا يستطيع الناس الحياة بدون الهواء، أو الطعام، فإنهم لا يستطيعون الحياة كذلك بدون النبات إلا أن يشاء الله.

وقد تنوعت الآيات التي تتحدث عن النبات في كتاب الله، وأنه مصدر الغذاء للكائنات الحية، من إنسان، وحيوان، وحيتان، وحشرات، وغيرها.

والله تعالى قد امتنَّ على بني آدم بنعمة إنبات النبات، وإخراج الثمرات رزقًا للبعاد،ولأنعامهم، وقد تنوعت النصوص التي ذكرت دور النبات في غذاء الإنسان، وحفظه وهي على النحو الآتي:

أ) نصوص عامة تشمل جميع أنواع الثمار الصالحة لغذاء الإنسان، ومن تلك النصوص:

* قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢].
* وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٧].
* وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [سورة الرعد: آية ٣].
* وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [سورة إبراهيم: آية ٣٢].

وعندما خاطب الله كفار قريش ذكرهم بنعمته عليهم، وهذه النعمة لا يستطيع أحد منهم أن ينكرها؛ لأنهم مقرون بربوبية الله تعالى، وأنه وحده هو الرزاق قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ [سورة القصص: آية ٥٧]، فكانت ثمار الشام واليمن تأتي إلى أهل مكة دون غيرهم.



«والثمر اسم لكل ما يتطعم من أعمال الشجر، الواحدة ثمرة، والجمع ثمار وثمرات»[(١)].

فلفظ الثمرات يشمل: كل جزء يستخدمه الإنسان من النبات، سواء كان هذا الجزء من جذور النبات، أو سيقانه، أو أوراقه، أو أزهاره، أو ثماره[(٢)].

فالآيات السابقة عامة تشمل جميع أنواع الثمار التي يأكلها الناس، كالفواكه، والتمور والأعناب، ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل إن الإنسان قد يتغذى بجذور النبات كما هو الحال بالنسبة للبطاطس والجزر، والبصل وغيرها، وأيضاً أوراق النبات لها نصيبها من غذاء الإنسان، كالخس، والسبانخ، وغيرهما.

وحتى سيقان النبات منها ما هو غذاء للناس، كقصب السكر وغيره.

ب) نصوص خصّت بعض الثمار دون غيرها، ومن أهم تلك الثمار والأغذية ما يلي:

١) نبات القمح وسائر أنواع الحبوب الأخرى:

كالذرة، والشعير، والدخن وغيرها.

وهذه الحبوب خاصة القمح هي المصدر الرئيس للطعام في أغلب بقاع العالم.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل هذه الحبوب تنبت في جميع البيئات الحارة، والباردة، والمعتدلة[(٣)].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ٨١).
وينظر: غريب القرآن للسجستاني (١/ ١٧٠).

(٢) ينظر: النبات في القرآن الكريم د. زغلول النجار (١/ ١٨٤).

(٣) ينظر: أسرار القمح في الغذاء الميزان بين العلم والقرآن د. جميل دويك ص (١٢)، مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ١٦٤).



❊ لذلك قد خصت الحبوب بالذكر وقدمت كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونًا وَنَخۡلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة عبس: آية ٢٧-٣٢].

❊ وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الرحمن: آية ١٢].

❊ وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبًّا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة يس: آية ٣٣].

٢) النخيل والأعناب:

وليس الحب وحده من خص بالذكر؛ بل هناك أصناف أخرى من أهمها: (النخل- والنخيل) الذي ذكر في كتاب الله عشرين مرة، والنخيل والأعناب من أهم الثمار التي ذكرها القرآن، وخصها بالذكر؛ لما لهما من فوائد في غذاء الناس، فهما قوتان يؤكلان ناضجين وجافيين.

❊ قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٦].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خص هذين النوعين من الثمار بالذكر؛ لأنهما أشرف أنواع الثمار، وأكثرها نفعاً، فإن منها القوت، والغذاء، والدواء، والشراب، والفاكهة، والحول والحامض، ويؤكلان رطباً ويابساً منافعهما كثيرة جداً»(١).

❊ وقال تعالى: ﴿فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَٰبٍ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة المؤمنون: آية ١٩].

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (١/ ٥٤٩).

* وقال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٤٨].

٣) ومن الأصناف التي خصها الله بالذكر:

الزيتون، والرمان، والتين.

* قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ١٤١].

* وقال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة النحل: آية ١١].

* وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: آية ٢٠]، وهذه الشجرة هي شجرة الزيتون.

* وقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [سورة التين: آية ١].

ج) دور النبات في غذاء بهيمة الأنعام التي يتغذى عليه الإنسان:

ومن تمام نعمة الله تعالى على عباده أن نشر النبات على سطح الأرض ونوّعه، وزوده بالقدرة على العيش في بيئات الأرض المختلفة متاعاً للناس، ولأنعامهم في تلك البيئات وبهذا لا يعدم إنسان ولا حيوان رزقه أينما كان قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة النحل: آية ١٠-١١].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يبين جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية الكريمة أن إنباته بالماء ما تأكله الناس من الحبوب والثمار، وما تأكله المواشي من المراعي، من أعظم نعمه على بني آدم، ومن أوضح آياته الدالة على أنه هو المستحق لأن يعبد»(١).

* وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ «أي: ترعون مواشيكم السائمة في ذلك الشجر، الذي هو المرعى، والعرب تطلق اسم الشجر على كل ما تنبته الأرض من المرعى»(٢).

* وهذه الآية قد ذكرت أن النبات غذاء للناس، ولأنعامهم، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ۝٤٨ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ۝٤٩﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٩].

* وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ۝٢٧﴾ [سورة السجدة: آية ٢٧].

* وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤﴾ [سورة طه: آية ٥٤].

* وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣﴾ [سورة النازعات: آية ٣٠-٣٣].

وفي الآيات السابقة تذكير للإنسان بما أنعم الله عليه من نعمة الماء، وإنبات النبات، غذاء للناس، ولبهيمة الأنعام، التي يتغذى الإنسان على لحمها، ويشرب

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٣٣٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٤٠)، وينظر: العقيدة والفطرة د. صابر طعيمة ص (٤٨).

من لبنها، وفي ذلك آيات لأولي النهى.

* قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾ [سورة الرحمن: آية ١٣].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾ [سورة طه: آية ١٢٨].

ويلاحظ أن الله تعالى لم يفرد الحيوانات بالذكر عند امتنانه على عباده بالنبات، بل نجد دائمًا أن الإنسان يقدم بالذكر على الحيوان في كون النبات غذاء للكائنات الحية، وهذا من إكرام الله لبني آدم، فهو المعني الأول بهذه النعم، فالنبات، والحيوان، والماء، والهواء، وغيرها كلها مسخرة للإنسان لكي يقوم بما أوجب الله عليه من توحيد الله، وعبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

د) دور النبات في حفظ الماء للإنسان:

وليس النبات مصدراً لطعام الإنسان فقط؛ بل إن الله تعالى قد خلق بعض النباتات في الصحراء مهمتها الأساسية تخزين الماء؛ ليشرب منه الإنسان.

توجد نباتات من أنواع الصبار تخزن كمية كبيرة من الماء، في نسج خاصة تدعى النسيج المدخر للماء، وهذا النسيج في قلب أعضاء النبات، وهو كالإسفنج، ويصل إلى هذا المخزون في بعض الأحيان إلى ثلاثة آلاف لتر، ويستطيع الإنسان أن يأخذ حاجته من الماء بمجرد أن يقطع بعض أطراف أغصان الشجرة، ليجد الماء العذب الزلال ينهال عليه، وسبحان الله الذي أودع هذا الماء في هذا الخزان الإلهي[(١)].

وهناك نوع آخر من النبات يتم من خلاله حفظ الماء بطريقة أخرى، وهذا

---

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة د. محمد النابلسي ص (٢٢٣).

الشجر يسمى شجر التبلدي، وموطنه أفريقيا، ويعتبر أضخم الأشجار وأطولها في العالـم، وقد يصل ارتفاعها إلى ٢٥-٣٠ مـتراً، ويصل قطر جذعها إلى ١١ متراً، وتعمر هذه الشجرة ألف عام.


شـجـرة التـبـلـدي

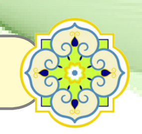

شـجرة التـبلدي

وجذع هذه الشجرة مفرغ من الداخل يتسع إلى نحو ٤٥ شخصاً تقريباً، لذا فقد اسـتخدمه الناس مخزنـاً لتجميع مياه الأمطار، ويتسـع إلى نحو ٢٥ ألف لتر من الماء، ويسـتخدم الناس هذا الخزان الكبيـر بعد تعبئته أيام الجفاف التي تمتد أكثر من خمسة أشهر[١].

إضافـة لكل ما سـبق فـإن الله تعالى جعـل النبات مصدراً للسـعادة، وبهجة للناظرين، بأوراقه الخضراء الفضية المتنوعة الأشكال، وأزهاره الزاهية الألوان، وروائحها الزكية[٢]، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ [سـورة النمل: آية ٦٠]، والله تعالى يحتج بهذه الآية على المشركين

(١) ينظر: دراسات في البيئة السودانية د.حسن مصطفى ص (٤٢).

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٢٠٠)، العقيدة في ضوء العقل عبد الغني النابلسي ص (٢٠).



بـأن مـن فعل لهم هذا وحده هو الإله وحده، فـإن كان فإن كان معه رب فعل هذا فينبغي أن يعبدوه، وإن لم يكن معه رب فعل هذا فكيف يجعلون معه إلهًا آخر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو أردنا أن نسـتوعب ما في آيات الله المشـهورة من العجائـب والدلالات الشـاهدة لله بـأن الله الذي لا إله إلا هو، الـذي ليس كمثله شـيء، وأنـه الذي لا أعظم منـه، ولا أكمل منه، ولا أبـر ولا ألطف؛ لعجزنا نحن والأولون والآخرون عن معرفة أدنى عشر معشار ذلك، ولكن ما لا يدرك جميعه، لا ينبغي ترك التنبيه على بعض ما يستدل به على ذلك»[(١)].

❊❊❊

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٢٠٦).

المسألة الثانية

بقاء نوع النبات وتكاثره

من حكمة الله وعنايته أن جعل النبات غذاء لمعظم الكائنات الحية، وأشرفها الإنسان، وجعل النبات عاملاً أساسيًا للحياة على سطح الأرض، فتكفل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ببقاء النبات، وهيأ له الوسائل المتنوعة لكي يتكاثر بسرعة مقابل الإقبال الهائل من قبل المخلوقات التي تقتات على النبات فتفنيه من الوجود، ولكي يتضح الأمر لا بد من رسم صورة للأرض فلو لم يخلق الله تعالى فيها النبات، فإن الشمس عندما تسطع على الأرض، وتشتد حرارتها، تتبخر معظم المياه الموجودة على الأرض، وترتفع درجة حرارة الصخور، وتتحول البيئة إلى حمام من بخار الماء الساخن الرطب، فيتعذر العيش للإنسان والحيوان، ومعظم الكائنات الحية، وعندما تغيب الشمس تبدأ اليابسة بفقد حرارتها سريعًا، وتبرد، ويتكثف بخار الماء، ويعود إليها، وتشتد البرودة، ويتجمد الماء، وتصعب الحياة عليها، وهكذا تتكرر هذه الدورة التي تختلف حدتها وسرعتها من مكان إلى مكان على الأرض[(١)].

وحتى لا تستمر هذه الصورة التي بموجبها تكون الحياة غير صالحة على الأرض فإن الله تعالى خلق الكساء النباتي الذي يمتص كمية كبيرة من ضوء الشمس حماية للإنسان ولغيره من المخلوقات؛ ولكي تستمر الحياة على وجه الأرض.

---

(١) ينظر: الإيمان بين الوحي والعقل رفيق النتشة ص (٢١٥-٢١٧).

وقد قدر الله تعالى هذا النظام البديع المحكم؛ لبقاء الإنسان، وكسا الأرض بالنبات؛ ليؤدي الإنسان وظيفته على أتم وجه وأكمله، ويتمثل هذا النظام في وسائل وطرائق التكاثر في النبات؛ لتغطية النقص الذي يسببه الاستهلاك الدائم للنبات، من البشر، والحيوانات، والكوارث وغيرها، فجعل سبحانه النبات يتكاثر كما يتكاثر البشر والحيوانات[1].

* قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠﴾ [سورة لقمان: آية ١٠].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧﴾ [سورة ق: آية ٧].

* وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ [سورة يس: آية ٣٦].

* وقال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [سورة الرعد: آية ٣].

■ وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ قولان:

* **الأول:** يعني صنفين من الثمر كالأسود والأبيض، والحلو والحامض[2].

* **الثاني:** يعني ذكرًا وأنثى من كل صنف[3].

---

(١) ينظر: دلائل الحق في عظمة الخالق د. عزت خيري ص (٨٥).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٦)، تفسير السعدي ص (٤١٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٩٦)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٨٠)، الدر المنثور (٤/ ٦٠٢).



وكلا المعنيين صحيح فكل نوع من أنواع النبات وثماره صنفين، إما في اللون كالبياض والسواد، أو في الطعم كالحلو والحامض، أو في القدر كالصغر والكبر، أو في الكيفية كالحار والبارد، أو في النوعية كالذكر والأنثى[1].

وأما علماء النبات فيؤكدون على أن لتكاثر النبات طرقاً مختلفة وهي[2]:

١) التكاثر البذري ويسمونه «التكاثر الجنسي».

ويتم هذا بواسطة الجذور التي ينتجها النبات، فقد خلق الله تعالى في النبات أعضاء تذكير تنتج حبوب اللقاح، وأعضاء تأنيث تنتج البويضات لتنشأ الأجنَّة النباتية من التزاوج بين أعضاء التذكير والتأنيث.

«وتتضح الزوجية بشكل بيّن في الأنواع المنتجة للأزهار، والمعروفة باسم النباتات المزهرة، والتي يزيد عددها على الربع مليون نوع، وأزهارها التي تنتج عن تفتح براعمها تحمل التكاثر من الخلايا الذكرية، والأنثوية التي قد توجد في زهرة واحدة، أو في زهرتين مختلفتين على نبات واحد، وقد يكون من النبات الواحد الذكر، والأنثى، وتؤدي عملية الإخصاب في النباتات المزهرة إلى إنتاج البذور وتحتوي كل بذرة على جنين النبتة الجديدة ومخزون من الطعام قدره الخالق المبدع لهذا الجنين حتى ينمو إلى نبتته الكاملة والقادرة بإذن الله على تجهيز غذائها بما وفر الله لها من قدرات، وتحفظ البذور عادة في الثمرة أو قد تكون هي الثمرة»[3].

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٤).

(٢) ينظر: النبات العام د. مصطفى عبد العزيز ص (٩٨٨)، النبات في القرآن د. زغلول النجار (١/ ١٦٠)، الجغرافيا النباتية د. محمد العودات ص (١٢)، الإيمان للزنداني ص (٨٧)، أسس الإنتاج النباتي ص (٢٨٤)، أسس علم البيئة د. عبد الفتاح بدر ص (٢٤٨).

(٣) النبات في القرآن د. زغلول النجار (١/ ١٦١).

■ ٢) التكاثر الخضري[١] ويسمى «التكاثر اللاجنسي»:

وهو عبارة عن إنتاج نباتات جديدة باستعمال أي جزء من أجزاء النبات الأم، وليس من اتحاد الخلايا المذكرة والمؤنثة كالنوع الأول.

ونجد هذا النوع في بعض أنواع الفطر، حيث تأخذ خيوط الفطر المطمورة في التربة شكل حلقة يزداد قطرها عاماً بعد آخر.

وبقدرة الله تعالى يمكن أن ينتقل النبات من مكانه الأصلي إلى مسافة أبعد قد تصل إلى خمسة عشر متراً.

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع:

نبات الفراولة الذي يملك سوقاً زاحفة تنبت في منطقة العقد التي تلامس التربة جذوراً وفروعاً جديدة تنفصل عن النبات الأم، وتبتعد بالتدرج[٢].

■ ٣) التكاثر بتعاقب الأجيال[٣]:

لقد منح الله تعالى بعض النبات القدرة على التكاثر بأي من النوعين السابقين بحسب الظروف المحيطة، ويكون ذلك في النباتات غير المزهرة على مرحلتين:

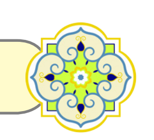
في المرحلة الأولى: ينتج النبات كلّاً من الخلايا الجنسية الذكرية والأنثوية، وتنفصل الخلايا الذكرية، وتتحرك الأوساط المائية، للوصول إلى خلية أنثوية

---

(١) ينظر: الجغرافيا النباتية د. محمد العودات ص (١٢)، أسس الإنتاج النباتي ص (٢٨٥)، النبات في القرآن د. زغلول النجار (١/ ١٦١)، النبات العام ص (٩٨٨)، أسس علم البيئة د.عبد الفتاح بدر ص (٢٤٩).

(٢) ينظر: الجغرافيا النباتية د. العودات ص (١٢).

(٣) ينظر: النبات في القرآن د. زغلول النجار (١/ ١٦١).



من نبات آخر من نفس النوع والقيام بتلقيحها وإخصابها بالاتحاد معها.

وفي الدورة الثانية ينتج النبات خلايا تناسلية تتناثر عن النبات الحامل لها عند نضجها، وتنمو في الأوساط المناسبة لإنباتٍ جديدٍ، وهذه الزوجية التي تحدَّث القرآن الكريم عنها، والتي هي ليست في الإنسان، والحيوان والنبات فقط بل هي في كل أمر من أمور الكون، دق أو عظم، وهذه شهادة بأن الوحدانية المطلقة هي لله الخالق وحده لا يشاركه فيها شريك ولا ينازعه فيه منازع(١).

❊❊❊

(١) النبات في القرآن د. زغلول النجار (١/ ١٦١).

المسألة الثالثة

نقل حبوب اللقاح والبذور ونشرها

أولاً: نقل حبوب اللقاح[1].

اقتضت عناية الله وحكمته أن يكون النبات ثابتاً في مكانه ولا يتنقل كالإنسان والحيوان لأجل التكاثر، لذلك فقد تكفل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإيصال حبوب اللقاح والتي هي: حبوب دقيقة تنتج في الأعضاء الذكرية للنباتات الزهرية، هذه الحبوب تصل من عضو التذكير في الزهرة المذكرة إلى عضو التأنيث في الزهرة المؤنثة لإنجاز عملية الإخصاب.

وقد هيأ الله لتكاثر هذه الحبوب وسائل متعددة، من إنسان، وحيوان، ورياح، وغيرها، لكي تتم استفادة الإنسان من ثمار الأشجار؛ ولكي يعمَّ رزق الله تعالى سائر الأرض، ولو لم يقدِّر الله تعالى ذلك لتقاتل الناس فيما بينهم لمحدودية الأماكن التي توجد بها النباتات التي لا غنى لإنسان ولا حيوان عنه.

ومن هذه الوسائل التي تنتقل بها حبوب اللقاح:

١) النقل بواسطة الرياح:

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [سورة الحجر: آية ٢٢].

---

(١) ينظر: الجغرافيا النباتية د.العودات ص (١٤)، التلقيح د. محمد باشة ص (٨٢)، علم البيئة النباتية د. أحمد مجاهد ص (٢٣٨-٢٣٩)، تصنيف النباتات الزهرية د. شكري إبراهيم ص (٨٠)، تصنيف النباتات الزهرية د. قاسم السَّحار ص (٦٠).

أصل اللاقح:

التي قبلت اللقاح فحملت الجنين[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي تلقح السحاب فتدر ماءاً، وتلحق الشجر فتنفتح عن أوراقها وأكمامها»[٢].

لقد سخر الله تعالى الرياح لحمل حبوب اللقاح من الأزهار المذكرة إلى الأزهار المؤنثة، ويسر العليم الحكيم نقل حبوب اللقاح فجعل حوامل الأزهار المذكرة متدلية تحركها أخف الرياح فتتناثر وتتطاير إلى الأعضاء الأنثوية التي جعل الله تعالى لها ريشية مكشوفة أمام الهواء للإمساك بحبوب اللقاح المذكرة، ومن حكمة الله تعالى أنه لم يجعل لهذا النوع من الأزهار رحيقاً أو روائح كما للأزهار التي تعتمد على الحشرات والحيوانات في تلقيحها؛ لعلمه سبحانه أن الرياح لا تحتاج إلى هذه المحفِّزات للقيام بمهمة التلقيح، وقد تحمل الرياح حبوب اللقاح إلى مسافة خمسمائة ميل[٣]، كالصنوبر مثلاً ومن حكمة الله تعالى أن جعل نباتات المحاصيل التي يحتاج إليها الإنسان بكميات كبيرة من النوع الذي يتلقح بالرياح لانتشارها في كل مكان؛ ولأن البشر منتشرون في كل بقاع الأرض.

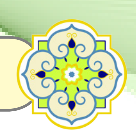
---

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/ ٣٠٦)، تاج العروس (٧/ ٩٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٠).

وينظر: تفسير البغوي (٣/ ٤٧)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٦٦).

(٣) ينظر: تصنيف النباتات الزهرية د. قاسم السحَّار ص (٦٤)، النباتات الزهرية د. شكري إبراهيم ص (١٣٠).



■ **ويمكن أن نلخص حكمة الله وعنايته بخلقه من خلال هذه الآية على النحو الآتي:**

١. أنه سبحانه سخر الأزهار لإنتاج حبوب اللقاح بكميات كبيرة جداً، يفتقد الكثير منها القدرة على التلقيح ويبقى الآخر ليؤدي دوره في الحياة.

٢. أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل حبوب اللقاح متدلية تتأثر بأدنى حركة للرياح.

٣. أنه عَزَّوَجَلَّ جعل المياسم الأنثوية ريشة مكشوفة للإمساك بحبوب اللقاح الطائرة.

٤. أنه جعل نباتات المحاصيل التي يحتاج إليها الإنسان من النوع الذي يتلقح بالرياح.

❋ فهل حصل كل ذلك بمجرد الصدفة؟!

❋ أم هناك حكيم خبير، قدر فأحسن التقدير، سبحانه عَزَّوَجَلَّ وتقدس؟!!

■ **٢) النقل بواسطة الحشرات[١]:**

هناك أنواع من الأزهار لا تتلقح بواسطة الرياح، لاختلاف تركيبها، فجعل الله تعالى لها وسيلة أخرى لتلقيحها، وهي: الحشرات، وجعل الله تعالى في هذه الأنواع من الأزهار عوامل تجذب الحشرات إليها كالرحيق، والألوان الجميلة، والروائح، وسخر الله للأزهار التي مخازن الرحيق فيها عميقة حشرات ذات خراطيم كالنحل، والفراش، أما الأزهار التي مخازن الرحيق فيها قريبة، فقد سخر الله تعالى لها حشرات ملقحة ذات خراطيم قصيرة كالذباب والخنافس،

---

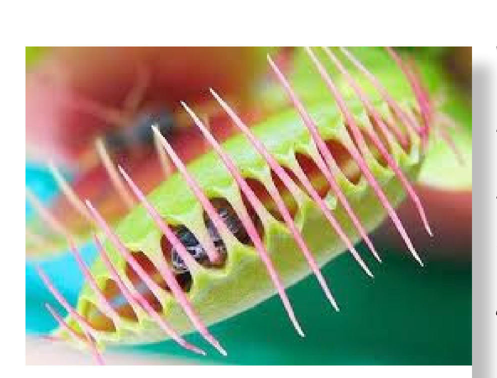
(١) ينظر: تصنيف النباتات الزهرية د. شكري إبراهيم ص (١٢٧)، تصنيف النباتات الزهرية د. قاسم السحَّار ص (٦٥)، علم البيئة النباتية د. أحمد مجاهد ص (٢٣٩)، علم الإيمان للزنداني (٢/ ٥٣-٥٦).

وأثناء زيارة الحشرات للزهرة تلتصق حبوب اللقاح على جسمها وعند زيارتها لزهرة أخرى من نفس النوع تنقل حبوب اللقاح إلى عضو التأنيث فيها.

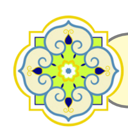
ومن عجائب خلق الله تعالى في هذا الباب أن جعل لزهرة تُسمى «سحلبية النحل» تركيبًا يشبه أنثى النحل، وتنتج نفس رائحتها، فيتوهم ذكر النحل أنها حشرة أنثى من نوعه، وقد أبدع الله تصميم هذا النوع كما ترى في الصورة بحيث إذا وقفت الحشرة الذكر عليها لامست رأسها أعضاء التذكير في الزهرة فيمتلئ بحبوب اللقاح، ويحمله إلى زهرة أخرى لتلقيحها[1].


سحلبية النحل

ومن عجائب خلق الله تعالى أيضًا التي يقف عندها المؤمن معظمًا لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيزداد إيمانًا مع إيمانه بربه تعالى زهرة تسمى «زهرة الفخ»، كما تراها في الصورة، وهي تنقض على الحشرة لا لأجل التغذية؛ بل من أجل تحميلها حبوب اللقاح إلى أعضاء التأنيث في زهرة أخرى من نفس النوع، والتي تفعل بالحشرة الناقلة نفس الشيء من أجل تفريغ تلك الحمولة من حبوب اللقاح لتتم عملية التلقيح.


زهرة الفخ

(١) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٥٤)، الموسوعة الكونية الكبرى د. ماهر الصوفي (٢٩٠).

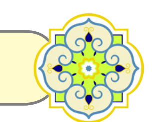

زهـــرة الأرســمية

ومن تلـك العجائب الإلهية ما تفعله زهرة تسمى «زهرة الأرسمية» حيث تنتج بـإذن الله رائحـة اللحـم المتعفن لتجذب إليهـا الذبـاب؛ ليدخـل قاعـة مغلقة ولا يمكنـه الهرب إلا عندما تفتـح بوابة فوهة الزهـرة، وبعد أن تتحمـل بحبوب اللقاح بسـبب صراعها من أجل الخروج، وعندما تنتقل إلى زهرة أخرى من نفس النوع تجذبهـا نفس الرائحـة، وتحتضنها الزهرة لأخذ حبوب اللقـاح التي علقت بها في جسمها من الزهرة المذكرة، وبعد ذلك تطلق سراحها.

والأمثلة لهذا النوع متعددة، والله تعالى يقول: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [سـورة الذاريات: آية ٢٠]، وفي هذه الآيات التي اكتشـفها العلم الحديث آيات لأهل الإيمان واليقين.

ثانياً: نقل البذور ونشرها:

لقد سخر الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بعض مخلوقاته لنشر بذور النبات في كل مكان من أجـل توفير الـرزق للناس والدواب في كل مكان وُجدوا فيه؛ لأن الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [سورة الذاريات: آية ٥٨].



■ **ولنشر البذور وسائل كما هو الحال لحبوب اللقاح التي تحدثنا عنها، ومن تلك الوسائل[(١)]:**

١. **الإنسان:** قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الواقعة: آية ٦٤]، فالإنسان يضع البذرة تحت الثرى، والله يتولى إنباتها بقدرته العظيمة، وكثير من النبات انتشر في الأرض بسبب هجرة البشر من مكان لآخر، ولا زال هذا الأمر إلى اليوم، كانتشار النخيل في قارة أمريكا مع أنه لم يكن معروفًا عندهم من قبل.

٢. **الطيور:** تجذب الألوان الزاهية للثمار الطيور فتأكلها، ثم تطرح البذور غير المهضومة مع فضلاتها لتنبت في أماكن أخرى.

٣. **الحيوانات:** تجمع بعض الحيوانات الصغيرة الثمار، وتخزنها في مكان آخر، فتنبت فيه بإذن الله.

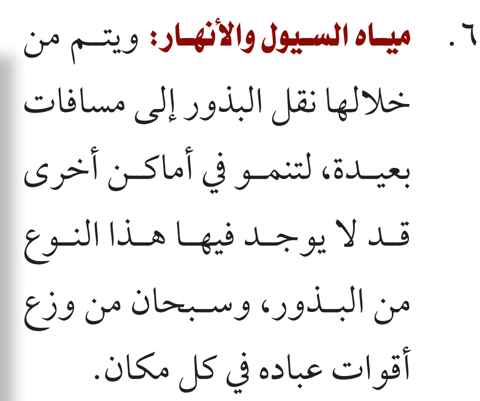
٤. **النمل:** يجمع النمل بعض البذور ويخبئه تحت الأرض، ثم تنبت تلك البذور.

والله تعالى هو الذي سخر هذه المخلوقات لتحمي تلك البذور من الطيور والحيوانات الأخرى، من خلال وضع البذور تحت سطح التربة؛ لتنبت في الوقت المناسب رزقًا للعباد.

٥. **جعل الله تعالى لبعض البذور أشواكًا مدببة، أو موادًا صمغية،** تمكنها من التعلق بأجسام الحيوانات وملابس الناس؛ لتنتقل إلى أماكن أخرى.

---

(١) ينظر: أسس علم البيئة النباتية د. عبد الفتاح بدر ص (١٢٢-١٢٣)، علم البيئة النباتية د. أحمد مجاهد ص (٢٤٠-٢٤٤)، تصنيف النباتات الزهرية د. قاسم السحار ص (١٠٥)، تصنيف النباتات الزهرية د. شكري إبراهيم ص (١٦٩-١٧٠).



٦. **مياه السيول والأنهار:** ويتم من خلالها نقل البذور إلى مسافات بعيدة، لتنمو في أماكن أخرى قد لا يوجد فيها هذا النوع من البذور، وسبحان من وزع أقوات عباده في كل مكان.



زهرة البنفسج

٧. **انفجار الثمار:** هناك نوع من البذور ينتقل بسبب انفجار ثمارها، فتندفع إلى مسافات بعيدة عن الشجرة الأم، كما هو الحال بالنسبة «للبنفسج».



المسألة الرابعة

نمو النبات بميزان وتقدير

أولاً: توازن الكون كله على وجه الإجمال(١):

لقد خلق الله الإنسان وأسكنه في هذه الأرض التي تكفل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإصلاحها لحياة الإنسان، ليقوم بما أوجب الله عليه من التوحيد والعبادة على أكمل وجه، فجعل سبحانه للأرض نظامًا دقيقًا في حركتها وموقعها من الشمس، وقدَّر فيها كثافتها وجاذبيتها، ووزنها وسرعتها، فالعلاقة بين جميع الموجودات من إنسان، وحيوان، ونبات، وماء، وهواء، وغير ذلك علاقة محكومة بقوانين إلهية محدودة تحفظ توازنها في انتظام دقيق لا يختل، وبقاء الكون كله محكوم في بقائه بذلك النظام الرباني ولو اختل ذلك التوازن لآل إلى الاضطراب بل إلى الفناء.

* قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [سورة الفرقان: آية ٢].
* وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [سورة طه: آية ٥٠].
* وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [سورة السجدة: آية ٧].
* وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [سورة الأعلى: آية ٣].

---

(١) ينظر: الإيمان بالله وأثره في الحياة د. عبد المجيد النجار ص (٩١)، الإيمان بين الوحي والعقل ص (٤١٤).

ولو تأملنا في الموجودات كلها لوجدناها قائمة على هذا التوازن الدقيق المحكم، فعلاقة الأرض بالشمس مثلاً دقيقة بحيث أنه لو اختل أي نظام من الأنظمة التي رسمها الله تعالى لتعذرت الحياة على الأرض فقربها من الشمس بهذا الشكل محكوم بمسافة مقدرة بدقة، ولو زادت هذه المسافة قليلاً لتجمد كل من على الأرض، ولو نقصت يسيراً لفني واحترق، قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [سورة يس: آية ٤٠].

ولو تغيرت جاذبية الأرض لاختلت دورتها اليومية، ولاختل نظام الليل والنهار، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [سورة القصص: آية ٧١-٧٣].

ولو اختلت دورة الأرض السنوية لاختل نظام الفصول الأربعة، وانعكس ذلك كله على الزرع والأكسجين في الهواء، ولما استطاعت المخلوقات الحية من: إنسان، وحيوان، ونبات، أن تعيش على سطح الأرض.

ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه الآن بمقدار يسير، لامتص ثاني أكسيد الكربون والأكسجين، ولما أمكن وجود حياة للنبات.

ولو كان الهواء أسمك أو أقل سمكًا مما هو عليه الآن لاختل مرور الأشعة التي يحتاج إليها الزرع والتي تقتل الجراثيم وتنتج الفيتامينات، دون أن تضر بالإنسان.

وهذا التوازن الإلهي للكون ينطبق على سائر الموجودات القائمة على سطح الأرض من: إنسان، وحيوان، ونبات، ومياه، ومعادن، وهواء وغير ذلك.

وسنتناول التوازن والتقدير الإلهي في النبات خاصة بعد أن ذكرنا نماذج للتوازن الإلهي للكون إجمالاً.

ثانياً: التوازن الإلهي في النبات خاصة:

إن الله تعالى قد خلق النبات على الأرض بقدر موزون؛ ليؤدي دوره الأساسي في الحياة على وجه دقيق، ولنذكر بعض الشواهد على ذلك التوازن:

١) المقايضة المحكمة المتوازنة بين الإنسان والنبات:

إذا كان الهواء مؤلفًا من الأكسجين[(١)] بنسبة ٢١٪، ومن النتروجين[(٢)] بنسبة ٧٨٪، ومن بعض الغازات الأخرى، ونسبة الأكسجين هذه هي النسبة اللازمة لحياة كل حي بإذن الله تعالى، ولو زادت لاحترقت الزروع والغابات، ولو نقصت لاختنقنا، فالنبات يعطينا الأكسجين بإذن الله، ويأخذ منا ثاني أكسيد الكربون[(٣)]، وهذه مقايضة محكمة من لدن حكيم خبير، يتم من خلالها استمرار حياة الناس والنبات جميعًا بإذن الله تعالى[(٤)]، وأيضًا فإن الأكسجين الذي مصدره النبات

---

(١) عبارة عن عنصر غازي من عناصر الهواء، عديم اللون والطعم والرائحة، يكوِّن خمس الهواء الجوّي، وهو أساس التأكسد والاحتراق، وضروري لتنفس الإنسان والحيوان والنبات. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار (١/ ١٠٦).

(٢) عنصر غازي يشكل ما يقرب خمس الهواء بالكتلة، لا لون له ولا رائحة. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار (٣/ ٢٣١٢).

(٣) غاز عديم اللون والرائحة، يتشكل نتيجة التنفس والاحتراق والتحلل العضوي. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار (١/ ٣٣٢).

(٤) ينظر: الإيمان بين الوحي والعقل ص (٢١٦)، العلم يدعو إلى الإيمان لكريسي موريسون ص (٦٥)، الإيمان بالله وأثره في الحياة ص (٩١).

يساعد على إشعال النار، وبدون الأكسجين تظل مصادر الوقود كنزًا لا فائدة منه، وكذلك فإن طبقة الأوزون التي تحمي الأرض وسكانها من بإذن الله من الإشعاعات الكونية الضارة ما هي إلا الأكسجين ثلاثي الذرات مصدره البنات[(١)].

٢) التوازن الدقيق بين المقومات اللازمة لنمو النبات:

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ١٩﴾ [سورة الحجر: آية ١٩]، ومعنى ﴿مَّوْزُونٍ﴾ «أي: مقدَّر بقدر فالوزن على استعارة، وقيل: المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة، والأول أعم وأحسن»[(٢)].

وقال الزجاج[(٣)]: «المعنى أنه جرى على وزن من قَدَر الله تعالى لا يجاوز ما قدَّره الله تعالى عليه، ولا يستطيع خلق زيادةً فيه ولا نقصانًا»[(٤)].

إن الكائنات النباتية تنتمي إلى مملكة ضخمة، غاية في الجمال والروعة، وهي المملكة النباتية، ولكي تعيش النباتات لا بد من ميزان لغذائها وميزان للحرارة، وميزان للرطوبة، وميزان للعناصر الموجودة في التربة، وميزان للفصول، وكل هذه المقومات أوجدها الله تعالى بميزان وتقدير لا يختل، وإذا اختلت هذه الموازين كأن تغير غذاء النبات، أو تغيرت نوعية مياه الري، أو عناصر التربة، أو حدث اختلال في نسبة تعرضها للشمس فإن ذلك يؤدي إلى توقف نمو النبات، والنبات

---

(١) ينظر: الإيمان بين الوحي والعقل ص (٢١٧).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ١٤٥).
ويُنظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٩).

(٣) إبراهيم بن محمد السري، أبو إسحاق، نحوي زمانه، من مؤلفاته: معاني القرآن، وله كتاب الاستقامة، وصنف في أسماء الله تعالى، توفي سنة ٣٣١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٣٦٠)، تاريخ الإسلام للذهبي (٢٣/ ٤٧٠)، مرآة الجنان لليافعي (٢/ ٢٦٢).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٩٠).

يحتاج إلى تربة، وهواء، وماء، وحرارة، وضوء، ورطوبة لكي يستمر وينمو وأي تغير في هذا التوازن يؤدي إلى مرض النبات واعتلال نموه، فهو كالإنسان إذا تغير ميزان جسمه يصاب بالخلل والاضطراب.

فمن الذي قدر هذه الموازين، وحفظ الملايين من الأشجار في الغابات، والبحار، والأنهار، والصحاري القفار، وجعلها تستمر من غير تدخل الإنسان، وعبثه الذي يفسد هذا التوازن؟!

٣) التوازن في أعضاء وأجزاء النبات[(١)] :

تأمل الميزان الدقيق الذي قدَّره الله تعالى في بذور وأصول النبات، فلا تحيد عنه، فينمو كل جزء في النبات: جذور، وساق، وأوراق، وأزهار، وثمار، وتميز ذلك النوع عن سائر الأنواع الأخرى، في شكله وصورته، وحجمه، ومادته، وتركيبته، ولونه، وطعمه، ورائحته، وفي علاقة أجزاء النبات ببعضها، ولولا ذلك التقدير الإلهي الدقيق الذي تخضع له تلك النباتات في نموها لاختل النمو في أعضاء وأجزاء تلك النباتات، ولطغى كل نوع على الآخر.

٤) التوازن في كمية المياه اللازمة لنمو النبات:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٢١].

يبدأ التوازن الإلهي بالماء والهواء والأملاح، فلا يدخل عنصر من هذه العناصر إلى كل نوع من النبات إلا بالقدر المحدد الدقيق، ولو نزل الماء بكميات كبيرة من السماء لهلك الحرث، ومات الزرع، كما نشاهد عندما تدمر الفيضانات كل ما يقف أمامها من أشجار، ومنازل، وبشر، إذا شاء الله ذلك.

---

(١) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٥٩-٦١).



وبسبب هذا التوازن في تلك العناصر نجد أن بذرة الفول تنبت نبات الفول، وحبة القمح تنبت زرع القمح، وزرع القمح ينتج حبوب القمح، ولا يقع خطأ ولا خلل في ذلك، فلم نر ولم نسمع أن سنبلة قمح أخرجت عنبًا، أو تينًا، وهكذا سائر أنواع النباتات، مع أن الكل يسقى بماء واحد، وينبت في أرض واحدة قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الرعد: آية ٤]، فمن الذي هدى كل نبات لمقادير ما يأخذه من الأرض من الموازين اللازمة لصناعته ما يحتاج إليه من المواد، ولتركيب خلاياه وأجزائه بأشكالها وأحجامها، وألوانها، ومقاديرها الخاصة بذلك النوع من النبات؟

ومن الذي أنزل الماء من السماء بقدر معلوم لكي يتمكن النبات من إكمال دورته النباتية[1]؟ إنه الله العزيز الحكيم عَزَّوَجَلَّ.

■ ٥) التوازن في جذور النبات[2]:

تأمل في ذلك التوازن المحكم بين طول ساق النبات وما يتفرع منه من أعضاء، وبين عمق الجذع، وما يتفرع منه من جذور، لما يحقق ثبات النبات، وصموده أمام العوامل المهددة لثباته كالرياح، والأمطار، والحيوانات، ثم إن نظام الضغط في جذور النبات متوازن بشكل دقيق، فعندما يكون الضغط الداخلي في خلايا الجذر أقل من الضغط الخارجي فإن النبات يأخذ الماء من الخارج، أي: أن النبات يأخذ الماء من الخارج عندما يحتاجه فقط، وأهم عامل يحدد هذا الموضوع هو كمية الضغط الناتجة من الماء في الجذور، ويجب أن يكون

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٦٠).

(٢) ينظر: معجزة النبات يحيى هارون ص (٧٢).

هنـاك توازن بين الضغط الداخلي والخارجي ولكـي يحدث هذا التوازن الإلهي لا بـد للنبات أن يأخذ الماء من الخـارج عندما ينخفض الضغط الداخلي ويطرح الماء من داخله بواسـطة الأوراق عندما يحدث العكس، أي عندما يكون الضغط الداخلي أعلى من الخارج لكي يعيد التوازن.

وأيضـًا فـإن مسـتوى الماء في التربـة أعلى بقليل مـن المعـدل الطبيعي فإن النبات يسـتمر في أخذ الماء لأن الضغط الخارجي أعلى وهو ما يسـبب له ضرراً في النهاية، وإذا كان مسـتوى الماء أقل بقليل لن تسـتطيع خلية النبات أن تسحب المـاء من الخارج لأن الضغط الخارجي سـيكون منخفضـًا بل إن النبات في هذه الحالـة يطـرح الماء ليحافظ على توازن الضغط، وفي كلتا الحالتين سـوف يجف النبات ويموت[1].

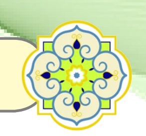
وقـد جعل الله تعالى جذور النبات تقوم بامتصـاص الماء من التربة، وينتقل الماء إلى أعلى النبات عن طريق الأنابيب الناقلة، وتقوم هذه الأنابيب بنقل الماء والمـواد الغذائية الممتصة إلى جميع أجزاء النبات حتى القمة وعلى ارتفاع أمتار عديـدة جداً دون أية صعوبة بإذن الله وهذا النقل المتوازن للمواد من الجذور إلى أبعد جزء في النبات هو من صنع الله الذي أتقن كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

■ ٦) التوازن بين أغصان، وأوراق النبات:

وعندمـا نتأمل الأغصان وننظـر في توزيع وتبادل تلك الأغصان على سـوق النبـات، وتوزيـع الأوراق وتبادلهـا علـى الأغصان بمـا يحقق التوازن في جسـم النبات، ويضمن تعريض المصانع الخضراء في الأوراق لضوء الشمس الضروري

---

(١) ينظر: المصدر السابق ص (٧٢).



لتلك المصانع، فإننا نجد أن الله تعالى قد خلق الأوراق وجعلها واسعة مسطحة وعريضة، مما يمكن جميع خلايا الأوراق من امتصاص ضوء الشمس، ولو لم تكن الأوراق بهذا الشكل المتقن، وكان لها أي شكل هندسي آخر، أو عشوائي، فإنها لن تستطيع أن تعيش وتستفيد من ضوء الشمس، ولن تستطيع أن تنتج الأكسجين بشكل كافٍ[1].

وإذا نظرنا إلى نمو الأغصان والأوراق فإنها تنمو بشكل دقيق ومتوازن، فمن الذي هدى كل غصن وورقة لتنمو في موقعها الصحيح؟ فإذا خرج غصن من جهة الساق لا يخرج غصن تالٍ من نفس الجهة، وإذا خرجت ورقة من الساق أو الغصن من جهة فإن الورقة التالية تخرج من جهة أخرى مقابلة، ولا تخرج من نفس الجهة التي خرجت منها أختها التي قبلها، وسبحانه القائل: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [سورة الملك: آية ٣]، ولو كان الأمر صدفة لوجدتَ الأغصان والأوراق تنبت في شكل عشوائي، فأغصان تمتد إلى الأعلى، والأخرى إلى أسفل، ووجدت الأوراق منها العريض جداً، والآخر بشكل آخر في شجرة واحدة وهكذا، ولكن الله تعالى خلق فسوى، وأحكم خلقه كله صغيره وكبيره، فتبارك الله أحسن الخالقين.

٧) التوازن في الغلال والثمار:

إذا تأملت حكمة الله تعالى في تسهيل جمع الغلال والثمار، فسترى عظمة الله جلية لأولي الألباب، فقد جعل الله سبحانه الحبات الصغيرة في سنابل تجمع فيها الحبوب، وجعل حبات الثمار الصغيرة كالعنب مثلاً مجموعة في عناقيد، ولو توزعت تلك الحبوب في جسم النبات كله لشق على الإنسان جمعها.

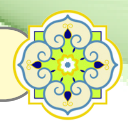
(١) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٦٠).

وأما الثمار ثقيلة الوزن فقد جعلها الله تنبت ملقاة على الأرض، ليسهل جنيها كالدباء والبطيخ وغيرهما، أو تكون في أشـجار لها جذوع سـميكة؛ لتتحمل ثقل وزنها كجوز الهند وغيره.

وانظر إلى الأشـجار التي أعدها الله تعالى لأخذ الأخشـاب كيف هي طويلة سـميكة، قد يصل ارتفاعها إلى مائة متر، بينما جعل سبحانه نباتات المراعي ذات أعشـاب قصيرة متشـابكة؛ لتكـون طعاماً للأنعـام والحيوان، وجعـل U بعض النباتات صغيـراً جداً كالطحالب البحرية، لتصلح غـذاء لكائنات مجهرية تغذي الأسماك الصغيرة؛ لتصبح بدورها غذاء لأسماك أكبر منها[(١)].



(١) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٦١).



المسألة الخامسة

تناسب النبات مع البيئة

من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته أن جعل لكل نبات مقومات وتراكيب خاصة في أجزائه؛ لتمكنّه من البقاء والتكيف مع البيئة التي خلقه الله بها، فالبيئة الجافة لها ما يناسبها من النبات، والبيئة المائية، والبيئة البادرة كذلك، وهذا التناسب الدقيق الذي يمكِّن لكل نبات لأن يعيش في بيئته دون البيئات الأخرى، يدل على أن هناك ربًا عزيزًا حكيمًا عليمًا بكل شيء، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ولنشرع للتمثيل لهذا التناسب ببعض الأمثلة على النحو الآتي:

أولاً: تناسب النبات مع البيئات الصحراوية الجافة[1]:

١. جعل الله تعالى للنبات في المناطق الجافة قدرة على إيقاف حركة النمو عند فقد الماء، وقدرة على تحريكها عند وجوده.

٢. تكون دورة حياة النبات قصيرة، لا تتعدى عدة أشهر، وبعض النبات تكفيه زخة مطر واحدة للإنبات بإذن الله تعالى.

٣. وهب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للنباتات الصحراوية القدرة على الاحتفاظ بالماء في أجزائها والتقليل من عملية إخراجه منها.

٤. زيادة نمو الجذور تحت التربة وانتشارها بطرقة عمودية، إلى أعماق بعيدة، كما تمتد الجذور جانبيًا لمسافة بعيدة للاستفادة من أكبر قدر

(١) ينظر: أقلمة النبات للظروف البيئية د. محمد اليمني ص (١٠-١٢)، حياة النبات د. عز الدين فراج ص (٦٩)، علم البيئة النباتية د. أحمد مجاهد ص (٢١٢)، علم البيئة العام د. محمد الشاذلي ص (١٣٩)، الجغرافيا المناخية والنباتية د. عبد العزيز شرف ص (٤١٢).

ممكـن من الماء، كما في نبات «المرخ» الـذي تمتد جذوره لعمق يصل إلى ١٥ متراً وتنتشر جانبياً في دائرة قطرها يصل إلى ١٠ أمتار.



المـــــرخ

٥. هدى الله تعالى بعض النبات إلى زيادة نسبة الجذور على نسبة الأغصان والأوراق؛ لزيـادة كميـة المياه المتاحـة، كنبات «العاقـول» الذي تمتد جذوره إلى ١٠ أمتار، وأما أعلى الشجرة فلا يتجاوز ارتفاعه ٥٠ سم.



العـاقـــول




٦. خلق الله بعض النبات بدون أوراق؛ لكي يبقى الماء أكثر وقت ممكن مثل نبات «المرخ» و «الرمث».



الرمث

٧. بعض النبات يحمل أوراقًا خفيفة في فصل الجفاف بدلاً من الأوراق العريضة التي تحتاج إلى كمية أكبر من الماء، مثل نبات «الجثجاث» و «العوسج».



الجثجاث



العوسج

٨. هـدى الله تعالـى النبات لآلية خاصة لحركـة الأوراق بحيث تمكنها من تغييـر وضع الورقـة، فتلتف الأوراق لتقلـل من عملية فقـد الماء، وإذا ازداد الجفاف تتساقط الأوراق لإيقاف فقد الماء.

ثانياً: تناسب النبات مع البيئات الباردة[١]:

إذا تأملنـا في نباتـات المناطق الشـديدة الـبرودة والمتجمدة فسـنجد أن الله تعالى قد حفظها من تلك البرودة التي يصعب الحياة فيها، فوهب سـبحانه لتلك الأشـجار من الوسائل التي تحافظ على حياتها وقت اشتداد البرد الذي يؤدي إلى فقـد النبات للحـرارة اللازمة لبقائه، وهذه الوسـائل تمكنها مـن المحافظة على درجة الحرارة اللازمة لبقائها، ومن تلك الوسائل:

١. وهبها سبحانه أوراقًا صغيرة مكتظة وثخينة ومغطاة بالشعر.
٢. جعلهـا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قصيـرة وصغيـرة الأوراق وقريبة من سـطح التربة؛ لتتمكـن من امتصاص أشـعة الشـمس، بينمـا نجدها عاليـة في الأماكن المحمية من البرد.
٣. تكثـر في البيئات الباردة أشـكال النمو الوسـادي المحـدب، أو النصف دائري؛ للمسـاعدة في تقليل فقد الحـرارة؛ لأن ارتفاعها يعرضها لمزيد من البرودة.
٤. جعـل الله تعالـى الأوراق تتوقـف عـن صنـع الغـذاء فتُسـحب مـادة «اليخضور»[٢] من تلك الأوراق، ويصبح لونها أحمراً، فتتساقط الأوراق وتصبح الأشجار هياكل بلا أوراق، وتتوقف عن النمو.

---

(١) ينظر: علم البيئة النباتية د. أحمد مجاهد ص (١١٣-١١٦)، الجغرافيا المناخية والنباتية د. عبدالعزيز شرف ص (٣٩١).
(٢) تقدم التعريف به ص (٥٠).

ثالثاً: تناسب النباتات مع البيئات الظليلة[(١)]:

لا يخفى أن النبات بحاجة ماسة لضوء الشمس؛ من أجل نموه، ومن أجل صنع الغذاء، لذلك فقد جعل الباري جل وعلا لنباتات البيئات الظليلة عدة وسائل يتمكن خلالها من الوصول لضوء الشمس ومن تلك الوسائل:

١. بعض النبات يتسلق أشجاراً أخرى حتى يصل إلى قمتها، وينال نصيبه من ضوء الشمس.
٢. جعل الله تعالى لبعض النبات ما يشبه العدسات، فتأخذ ضوء الشمس الخافت وتعكسه لتستفيد منه.
٣. بعض النبات يكون لون سطح ورقته السفلي أحمراً؛ ليعكس ضوء الشمس عند اختراقه سطحها العلوي الأخضر؛ ليعود الضوء إلى داخل الخلايا.

رابعاً: تناسب النبات مع البيئات المائية[(٢)]:

النباتات المائية تفتقر للأكسجين، لذلك فقد جعل لها علام الغيوب وسائل تساعدها في الوصول للأكسجين؛ لتستمر حياتها، ومن هذه الوسائل:

١. توسيع المسافات الهوائية بين خلايا أنسجة الأجزاء المغمورة من النبات؛ لتسمح هذه الأنسجة بمرور الأكسجين عبر النبات من السيقان والأوراق المكشوفة إلى الأجزاء المغمورة.

---

(١) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٧٨)، علم البيئة النباتية ص (٢٥١)، أساسيات علوم الأشجار وتكنولوجيا الأخشاب د. عثمان بدران ص (١٣١)، الجغرافيا المناخية والنباتية د. عبدالعزيز شرف ص (٣٧٣).

(٢) ينظر: الجغرافيا النباتية د. محمد العودات ص (٢٦٢)، علم البيئة العام د. محمد الشاذلي ص (١٣٨).

٢. جعل عَزَّوَجَلَّ للبعض الآخر جذوراً عمودية تتجه أطرافها إلى أعلى خارج الماء، على عكس القاعدة المعروفة من اتجاه الجذور إلى أسفل، وتسمح للهواء بالدخول منها إلى الأجزاء المغمورة بالماء، لكي لا يختنق النبات ويموت.

وبعض النباتات المائية لا جذور لها أصلاً؛ لعدم حاجتها للجذور، وإن وجدت فيكون نموها بسيطًا، وتكون قصيرة وليفيَّة، وغير متفرعة، أو متفرعة تفرعًا ضعيفًا.

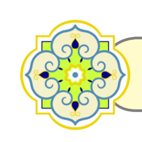
٣. وإذا تأملنا سيقان النباتات المائية فإن الله تعالى قد جعلها أفقية أسطوانية في النباتات الطافية، وتكون سميكة وإسفنجية وقصيرة في بعض النباتات، أما إذا كانت مغمورة تحت الماء فإنَّا نجد السيقان طويلة وأسطوانية ومرنة؛ لتتمكن من مقاومة التيارات المائية.

خامساً: تناسب النبات مع البيئات المالحة[١]:

النباتات في البيئات المالحة تحتاج لوسائل تساعدها على التخلص من كثرة الملوحة، وقد هيأ الله تعالى العليم الحكيم لهذه النباتات ما يساعدها على البقاء في وسط الملوحة الزائدة، ومن ذلك:

١. هدى الله تعالى بعض النباتات في هذه السباخ المالحة بالامتلاء بالماء لتخفيف الملوحة الشديدة التي تحيط بها، كنبات «الحمض» و «الشنان».

(١) ينظر: أقلمة النبات للظروف البيئية د. محمد اليمني ص (٥٥)، وعلم البيئة العام د. محمد الشاذلي ص (١٤٢).


الشنان


الحمض

٢. التخلص من بعض أعضاء النبات، ويكون ذلك بموت الأوراق القديمة ذات اللون الداكن بعد أن تتجمع بها الأملاح بكميات كبيرة، أما الأوراق الحديثة ذات اللون الأخضر المائل للحمرة فتبقى حية، فالأملاح تتجمع في الأوراق القديمة وتموت تلك الأوراق؛ لتعيش الأوراق الحديثة، مثل: نبات «السويد» و «الشنان»، وسبحانه الله الذي هدى النبات لهذه الطريقة القائمة على الإيثار والتضحية بالنفس من أجل الآخرين.


السويد



وسبحان الله الذي جعل لكل نوع من النبات بيئته المناسبة، وهو وحده القادر على إنبات ما يشاء في المكان الذي يشاء، وفي قصة قوم سبأ عبرة لأولي الألباب، فقد كانوا يتنعمون بأطيب الثمار وأنضجها، فلما عصوا ربهم عاقبهم الله في نفس أرضهم، فبعد أن كانت تنبت أطيب الثمار وأبهجه، أصبحت تنبت ما ليس له من الفائدة إلا القليل من الأثل، والطرفاء، والسدر القليل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما كان أجود هذه الأشجار المبدَّل بها هو السدر قال: ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٦﴾ [سورة سبأ: آية ١٦]، فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك، والطرفاء، والسدر ذي الشوك الكثير، والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل»[١].



(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٤).



المسألة السادسة

حفظ الله تعالى للنبات وحمايته

تتجلى عظمة الله وربوبيته في كل شيء في هذا الوجود، فهو سبحانه الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، وهو الذي يحفظنا بالليل والنهار، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٤٢].

وقد حفظ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للإنسان مقومات حياته من ليل ونهار، وغذاء ودواء، ويعتبر النبات المصدر الأول لغذاء الإنسان والحيوان، والكثير من الكائنات الحية، وقد تكفل سبحانه بحفظ النبات من أن يفنى بالكلية، وهيئ عَزَّوَجَلَّ له من الوسائل التي تحفظه من الأمراض، والآفات، ومخاطر البيئة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسنتحدث عن حفظ الله للنبات من ناحيتين:

أولاً: حفظ النبات من الأمراض[1]:

يعتري النبات ما يعتري البشر من الأمراض، ولكن الإنسان يذهب إلى الطبيب، ويأخذ الدواء ويشفى بإذن الله تعالى.

أما النبات فإن الله تعالى قد هيأ له الكثير من الوسائل الدفاعية التي تكون وقاية وحصناً له من الأمراض بإذن الله تعالى، وتنقسم هذه الوسائل الدفاعية

(١) ينظر: مكافحة الأمراض النباتية د. حسين العروسي ص (٢٣٢)، أمراض النبات د. إسماعيل علي ص (٥٤-٦٣)، أساسيات أمراض النبات د. دانيال روبرت ص (١٩٧-٢٦٠).

إلى قسمين[١]:

■ أ) دفاعات خارجية سطحية، ومن أبرزها:

١. الشمع الموجود على سطح الأوراق فلا يستقر عليها الماء، وتمنع نمو الفطريات، والبكتيريا الضارة بالنبات.

٢. الأنسجة النباتية المتكونة من خلايا سميكة الجدران وخشنة، مما يعيق حركة الحشرات المسببة لمرض النبات.

٣. الشعيرات الموجودة على سطح النبات، والتي يكون لها أثر طارد للماء الذي يسبب الإصابة بالمرض.

٤. جعل الله سبحانه في الجانب السفلي من الورقة فتحات صغيرة، وأيضًا هناك ثغرات صغيرة توجد على القشرة المغطية لجذع الشجرة، وصغر هذه الفتحات، ومواقعها من النبات، وأشكالها، تمثل عائقًا من انتشار المرض.

■ ب) دفاعات داخلية:

وتبرز هذه الوسائل الدفاعية عند تمكن المرض واختراقه للدفاعات السطحية، ووصوله إلى الأنسجة الداخلية، وفي هذه الحالة يأتي دور هذه الدفاعات، ومنها:

١. يحصل تغيير في تركيب الخلية المستهدفة، حيث تتمدد وتصبح كثيفة، وتظهر فيها أجزاء وتركيبات عديدة، تؤدي إلى تحلل خيوط الفطر المسبب للمرض.

---

(١) ينظر: أمراض النبات د. إسماعيل علي ص (٥٧-٦٣).

٢. تراكيب للدفاع عند جدار الخلية، وهي عبارة عن طبقة خارجية على جدار الخلايا، تكّون أجساماً منتظمة، ومواد ليفية، تعيق البكتيريا المسببة للمرض، وتمنعها من التكاثر.

٣. لقد جعل الله تعالى للنبات القدرة على تكوين طبقات عديدة من الخلايا الفِلِّينِية، تتجاوز مكان الإصابة بالمسبب المرضي، فتمنع انتشار المواد السامة التي يفرزها المسبب المرضي، كما تمنع وصول الماء والمواد الغذائية من المناطق السليمة إلى المناطق المصابة، مما يؤدي إلى حرمان المسبب المرضي من الغذاء.

٤. قطع العضو المصاب للتخلص منه، ويكون ذلك بموت الأنسجة المصابة، وبنمو الأنسجة الحية الواقعة تحتها تُدفع الأنسجة الميتة نحو الخارج، مما يؤدي إلى فصل النسيج الميت عن النسيج الحي، وبهذه الطريقة يتم التخلص من المسبب المرضي.

٥. تراكم الصمغ حول موقع الإصابة؛ لعزل المسبب المرضي وإهلاكه.

٦. هداية الله للنبات في إيقاع الموت الموضعي للخلايا في موضع الإصابة بالمرض، لكي لا يتقدم إلى بقية الخلايا الحية السليمة.

٧. تعزيز جدران خلايا النبات المصاب بجزئيات مقوية.

٨. إنتاج مواد مضادة للجراثيم في خلايا النبات المصاب[١].

فمن الذي زود النبات بتراكيب خارجية في الأوراق والساق والجذور، تحفظه من مسببات المرض؟

---

(١) علم الإيمان للزنداني (٢/ ٧١-٧٣).

ومن الذي هيأ المواد التي تحمي النبات من الخارج؟

ومـن الذي أعد الخط الثاني للدفـاع بتراكيب متعددة لحماية الخلية، وبمواد قاتلة لمسببات الأمراض، ألا تشهد تلك التراكيب الدقيقة وتلك الوسائل المتناهية في التركيز أن لها ولنا ربـاً لا ينازعه في ملكه شيء، فهو الذي يحفظ هذه النباتات، وإذا أراد أن يعاقـب بهـا أحـداً من خلقه سـلط عليه آفة من الآفـات فتقضي على المحاصيل كلها،ويرسـل عليها حسبانًا من السماء، وقد قص الله لنا في كتابه مثالاً على ذلـك، كما في الرجلين في سـورة الكهف، قال تعالـى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾ [سـورة الكهف: آية ٤٠-٤٢]، وكما في قصة أصحـاب الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سـورة القلم: آية ١٧-٢٧].

ثانياً: حفظ النبات من الحيوانات:

جعل الله النبات غذاءً للحيوانات، وبنفس الوقت فإنه سـبحانه جعل للنبات وسـائل دفاعية تصرف عنها أعداءها من الحيوانـات، وكل هذا يعود إلى التوازن الذي قدره الله بين المخلوقات، ومن أهم الوسائل الدفاعية للنبات[1]:

---

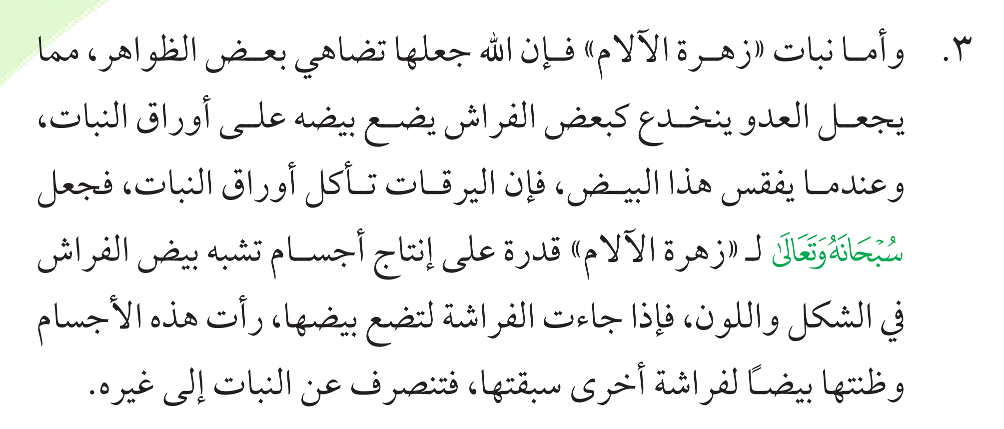
(١) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٧٤).

١. من النبات ما جعله الله يدافع عن نفسه بوساطة زوائد شعرية «شوكية» صغيرة، بمجرد لمس النبتة يلتصق الشعر بالجسم الملامس له كنبات «القراص».


القراص

٢. ومن النبات ما يخرج منه سموم تضر بكل ما يلامسه كنبات «السرخس».


السرخس



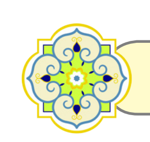
٣. وأمـا نبات «زهـرة الآلام» فـإن الله جعلها تضاهي بعـض الظواهر، مما يجعـل العدو ينخـدع كبعض الفراش يضـع بيضه علـى أوراق النبات، وعندمـا يفقس هذا البيـض، فإن اليرقـات تـأكل أوراق النبات، فجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لـ «زهرة الآلام» قدرة على إنتاج أجسـام تشبه بيض الفراش في الشكل واللون، فإذا جاءت الفراشة لتضع بيضها، رأت هذه الأجسام وظنتها بيضاً لفراشة أخرى سبقتها، فتنصرف عن النبات إلى غيره.



زهـــرة الآلام

٤. ونبات «الفرقط» ألهمه الله إغلاق وريقاته بمجرد لمس الحشـرات لها، تنثنـي أغصانه الحاملة للأوراق وكأنها تنكسـر، مما يؤدي إلى انصراف الحشرات عنها.

٥. ومن النبات ما جعله الله تعالى بلون البيئة، كنبات «الملاح» الذي يحاكي ألوان البيئة التي يعيش فيها، فلا يميزه أعداؤه.



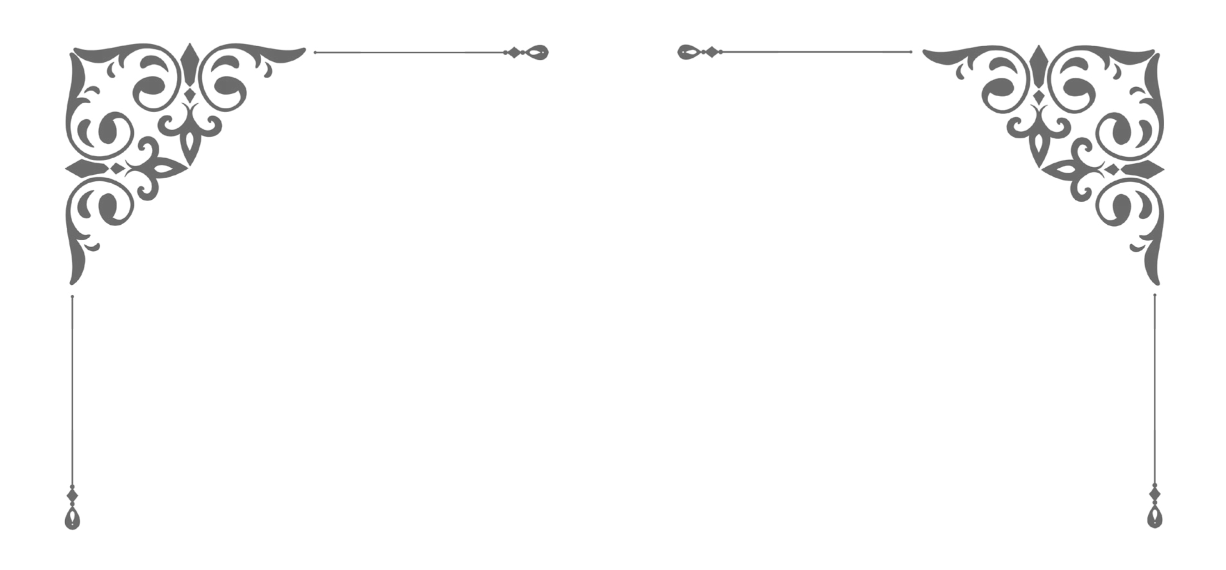


الـمـــلاح

فمن الذي منح هذه النباتات قدرة للدفاع عن نفسها، وأعطى كل نبات وسيلة خاصة به يدافع بها عن نفســه، فنبات يخز من هاجمه، ونبات يفرز السموم، وآخر يضلل؟! أإلهٌ مع، وسبحان الله القائل: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة لقمان: آية ١١].

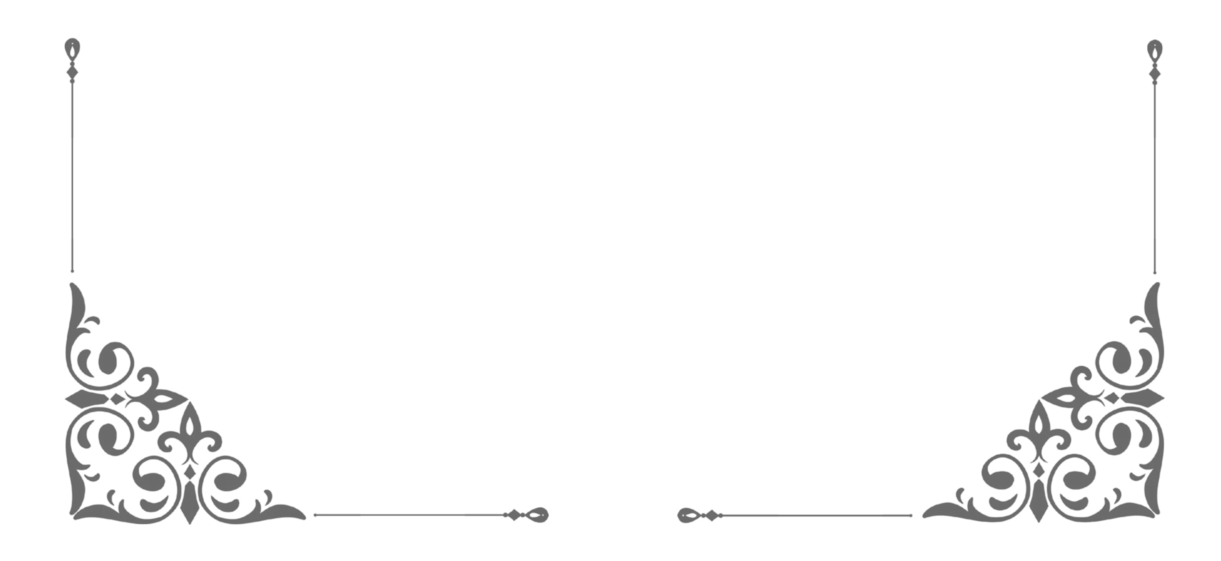
وإذا نظرنــا إلى النباتات التي أعدها الله لغذاء الإنســان والحيوان فلم يجعل الله لها وســائل تقاوم بها، بل جعل لها روائح، وخصائص جذابة لتكون في متناول اليد؛ ليســهل أكلها، قال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة عبس: آية ٢٧].

❊❊❊



المطلب الثالث

دلالة الإتقان والإحكام بالنبات
على ربوبية الله تعالى



المطلب الثالث

دلالة الإتقان والإحكام بالنبات على ربوبية الله تعالى

دلالة الإتقان والإحـكام بالنبات هي من ضمن دليل العناية والحكمة، وكل ما يستـدل بـه من الأدلة علـى إتقان الله تعالـى في خلقه للنبات وغيـره، فإن ذلك كلـه، يدل على عنايـة الله تعالى بمخلوقاته، والإتقـان والإحكام يتجلى في جميع مخلوقات الله تعالى صغيرها وكبيرها، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة النمل: آية ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [سورة السجدة: آية ٧].

ودليل الإتقان يدل على وجود رب قدير من خلال ما يشـاهد من الإتقان في نظام دقيق ومحكم ولا يمكن أن يكون بدون مدبر حكيم، ولا يمكن أن يدوم أبد الدهر دون خلل، بدون تدبير الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وبالنظـر في عالـم النباتـات نجد أن كل جـزء منها قد ركَّـب تركيباً محكماً يتناســب مع الوظيفة التي يؤديها، فالجذور وشكلها وأنواعها، وعمقها في التربة، وتناسبها مع بيئتها، متقنة محكمة،وكذا السيقان، والأغصان، والأوراق، والثمار، كل ذلك قد أبدعه الخالق وقدره فأحســن تقديره وسنستشـهد على ذلك بشـرح موجز على النحو الآتي:

۞ أولاً: الإتقان والإحكام في الجذور:

للجذور وظائف متعددة منها: تثبيت النبات في التربة؛ لذلك فإن الله تعالى قد هيأ لكل نبات جذوراً تناسب هذه الوظيفة الأساسية، فالأشجار الكبيرة لها جذور

كبيرة تمتد في الأرض، وأما الأشجار الصغيرة فجذورها أقل حجماً.

ومن وظائف الجذور امتصاص الماء ومواد التغذية الأخرى، فنجد من جذور النباتات الصحراوية ما يمتد لعدة أمتارٍ بحثاً عن الماء، وأما النباتات المائية فجذورها صغيرة، وقد لا تكون لها جذور أصلاً، ولهذا النوع من الجذور ممصات للتغذية بديلة عن الجذور، وقد هيأ الباري سبحانه لكل بيئة ما يناسبها من الجذور.

■ **وبالرجوع إلى كتب النبات نجد أنهم ذكروا أنواعاً من الجذور ومنها[1] :**

* الجذور الوتدية.
* الجذور الدَّرَنية.
* الجذور الليفية.
* الجذور الهوائية.
* الجذور التنفسية.

وقد أودع الخالق سبحانه في كل منها خصائص لتتلاءم من إمكان حصول النبات على حاجته من الغذاء.

وتنمو جذور النباتات المختلفة، وتنمو عليها الشعيرات الجذرية، التي تمتص المحاليل الأرضية، فتنتقل العصارات انتقالاً تصاعدياً إلى أعلى الفروع، وأبعد الأغصان المرتقية، ويتم الانتقال بعمليات معقدة جداً يعجز عن ترتيبها أي معمل بشري، مهما أوتي من أجهزة دقيقة، وتجهيزات محكمة[2].

---

(١) ينظر: علم أحياء النبات العلمي د. إبراهيم عارف ص (٩٤).

(٢) ينظر: براهين وأدلة إيمانية. عبد الرحمن حبنكة ص (٣٤٢).

فمن أين أتى هذا النظام المحكم، أمن الصدفة؟!!

إن أهـل الصدفة والإلحاد يقفون حائرين أما أهل الإيمان فيقولون: سـبحان الخالق المبدع.

ثانياً: الإتقان والإحكام في السيقان:

لقـد أبدع الله تعالى خلق سـيقان النبـات، ونوَّعها في أحجامها، وأشـكالها، وتركيبها الداخلي، وطريقة نموها في الأنواع النباتية المختلفة، فقد يتراوح طولها من بضعة سـنتيمترات كما في الأعشـاب، إلى عشـرات الأمتار كما في الأشـجار الضخمـة، وأيضـًا فـإن من إبداع الله تعالى أن جعل سُـمْك السـيقان يختلف من بضعـة مليمترات إلى بضعة أمتار، بحسـب حجم الشـجرة. ومـن حيث الصلابة والليونـة، فجعلها في الأشـجار الكبيـرة والصغيرة صلبة، وجعلها في الحشـائش والأعشاب الصغيرة غضة رقيقة، يسهل قضمها وأكلها.

ومن إتقان الله تعالى أن جعل طريقة نمو السيقان متنوعة:

فمنها ما ينمو رأسـيًا إلى أعلى، مثل سـيقان معظم النباتـات، ومنها ما ينمو زاحفًا على سـطح الأرض مثل: القرع، والخيار، والبطيخ، أو متسلقـًا مثل: ساق العنب، أو ملتفًا حول دعامات مثل: اللوبيا.

ويظهـر الإتقان والإحكام في تـلاؤم النباتات مع البيئة التـي تنمو فيها، وقد سـبق الحديث عن ذلك[١]، فالنباتـات في البيئات الجافة تختلف عنها في البيئات الباردة.

---

(١) ينظر ص (٨٧).

فعلى سبيل المثال:

نجد السيقان العصيرية المتشحمة والتي تختزن الماء متوفرة في البيئات الجافة، ولا نجد مثل هذا النوع في البيئات الباردة؛ لعدم الحاجة إليها.

وإذا نظرنا داخل هذه السيقان فسنجد الإتقان والإبداع يتمثل في شبكة النقل المتخصصة، المتمثلة في تلك الأوعية التي تنقل المياه والأملاح المعدنية من التربة وتوصلها إلى كل جزء في النبات، بموازين دقيقة، ومقادير مضبوطة، خاصة بكل نبات، وإلى جانبها شبكة أخرى متخصصة في نقل المواد الغذائية المصنَّعة في المصانع الخضراء، لتصل عبرها إلى كل خلية في النبات، ومع صغر فتحات هذه الشبكة الناقلة، وتقاربها، فلا يحدث تداخل بينها، مع أنها من أعقد شبكات النقل، فسبحان من أتقن كل شيء خلقه، وأبدع في صنعه، فله الحمد والشكر [(١)].

ثالثاً: الإتقان والإحكام في الأوراق:

يتجلى إتقان الله تعالى في خلقه للأوراق بما يشهد على ربوبيته لخلقه، ويمكن تلخيص ذلك من خلال النقاط الآتية:

١. أن الله تعالى قد أبدع خلق الأوراق، وصورها، ورتبها سبحانه على السيقان والأغصان؛ لتقوم بمهمتها في صنع الغذاء، فبعض النباتات تحتوي على ورقة واحدة من كل عقدة، وتتبادل المواضع فيما بينها على محيط الساق، حتى لا يقع ظل واحدة على الأخرى فلا يصلها ضوء الشمس على النحو اللازم، وعندما تستقبل الأوراق الضوء تحوله من طاقة ضوئية إلى طاقة غذائية، يستفيد منها الإنسان، والحيوان، والنبات،

---

(١) ينظر: معجزة النبات ص (١١٦)، علم الإيمان للزنداني (٢/ ٦٥).

ويسمى هذا التوزيع في هذه الحالة في علم النبات توزيعًا متبادلاً.

وقد تكون ورقتان متقابلتان من كل عقدة فيسمى التوزيع متقابلاً، كما في «الياسمين»، وتكون أزواج الأوراق غالبًا في مستويات متعامدة بحيث إذا اتجهت الورقتان المتقابلتان في إحدى العقد شرقًا وغربًا، اتجهت الورقتان اللتان تليانهما من أعلى إلى أسفل ناحية الشمال والجنوب، فيقال للأوراق في هذه الحالة متقابلة متعامدة[1].



الياسمين

وهذا التوزيع للأوراق من الواحد الخلاق، الذي هدى كل ورقة إلى موقعها، بحيث لا تحجب ورقةٌ أختها من ضوء الشمس، الذي هو أساس حياة النبات بعد الله تعالى.

٢. أن الله تعالى قد جعل الورقة الخضراء معملاً مدهشًا لصناعة غذاء الإنسان، والكائنات الحية التي تتغذى على النباتات، على الرغم من صغر حجمها، وعدم ملاحظة التعقيد في مظهرها، واستهانة الناظر العادي بشأنها وبقيمتها.

---

(١) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٦٦)، براهين وأدلة إيمانية. عبد الرحمن حبنكة ص (٣٤٥).

إن ورقة النبات نوع من الآلات الدقيقة الصنع، التي تعمل وهي مكشوفة في العراء، وفي مختلف الأحوال الطبيعية في الجو[١].

٣. لقد أعد الله تعالى أوراق النبات لاستقبال أشعة الشمس الساطعة الحارة، ولتحمل وابل المطر الذي قد يتساقط عليها أشهراً عديدة، وبهذا الإِعْدَاد المتقن العجيب، تتكيف للظروف المختلفة بإذن ربها، فلا تسمح بالتبخر الزائد عن الحاجة، حينما تشتد عليها حرارة الشمس، ولا تسمح للأمطار الزائدة بأن تَنْفُذ إلى داخلها فَتُفْسِد مصنوعاتها[٢].

٤. بالنظر إلى الورقة الخضراء في النبات نجد أنها بالغة الرقة، إلا أنها في واقع حالها تركيب معقد من الخلايا والأنسجة، وللورقة سطحان: علوي، وسفلي، وتوجد في السطحين ثغور[٣] كثيرة تنفتح وتنغلق تبعًا للحاجة، فإذ زادت نسبة الماء في الورقة انفتحت الثغور؛ لتطرح الزائد، ولتسمح له بأن يتبخر، وإذا نقصت نسبة الماء انغلقت فيها هذه الثغور[٤].

٥. أن الله تعالى قد جعل في الورقة التي نراها، وقد لا نشعر بما أعدَّ الله فيها من خطة هندسية مذهلة، قائمة على شرايين وعروق، وألياف، ومادة خضراء تؤدي وظيفة أساسية في صناعة الغذاء النباتي، وعنق الورقة يأخذ الماء والمحاليل والأملاح من أصلها الذي يوزعه على سائر النبات ومنتجاته من الثمار، كلٌّ بحسب حاجته، دون زيادة أو نقصان.

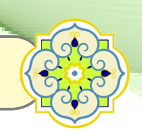
---

(١) ينظر: براهين وأدلة إيمانية. عبد الرحمن حبنكة ص (٣٤٦)، الموسوعة الكونية الكبرى ماهر الصوفي ص (٣٠٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) الثغور: هي ثقوب صغيرة تكون على سطح الورقة، ولا ترى بالعين المجرة. ينظر: حياة النبات د. عبد العزيز فراج ص (٩٨).

(٤) براهين وأدلة إيمانية. عبد الرحمن حبنكة ص (٣٤٧).



وهـذه المعامـل النباتية الضخمة، التـي هيأها الله لنا بإتقـان وإحكام، يعجز البشـر بمـا أوتوا مـن قدرات في هـذا الزمان أن يحاكـوا هذه المصانـع الإلهية في ورقة النبات، وما النبات إلا جزء من مخلوقات الله تعالى التي لا يعلمها إلا الذي خلقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

رابعا: الإتقان والإحكام في الحبوب والثمار:

إذا نظرنـا إلى الحبـة الواحدة من حبوب القمح، أو الشـعير، فإنا نجد أن الله تعالـى قـد أتقن خلقها فكسـاها بغشـاء يحفظها مـن التلف، ثـم إن الله تعالى قد هيـأ هـذه الحبة الواحدة لتخرج مجموعة من السـنابل، وفي كل سـنبلة الكثير من الحبـوب، ولو كانـت الحبة الواحدة تخـرج واحدة مثلها لضاقـت الأرض على أهلها بما رحبت، ولشق ذلك على الناس.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمل هذا الريع والنماء الذي وضعه الله في الزرع حتى صـارت الحبة الواحدة ربما أنبتت سـبعمائة حبـة، ولو أنبتت الحبـةُ حبةً واحدةً مثلهـا لا يكون في الغلة متسـع لما يُـرَدُّ في الأرض من الحب، ومـا يكفي الناس، ويقوت الزارع إلى إدراك زرعه، فصار الزرع بريع هذا الريع؛ ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك ثمار الأشـجار والنخيل، وكذلك ما يخرج مع الأصل الواحد منها من الصنوان ليكون لما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم خلفا فلا تبطل المادة عليهم ولا تنقص»[1].

وأمـا الثمار فإن الله تعالى قد أحكم خلقها، وأتقـن صنعها، فنوَّعها، وجعلها

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٨).
وينظر: وحدانية الله تتجلى في وحدة مخلوقاته. عمر الهواري ص (٣٣٨).

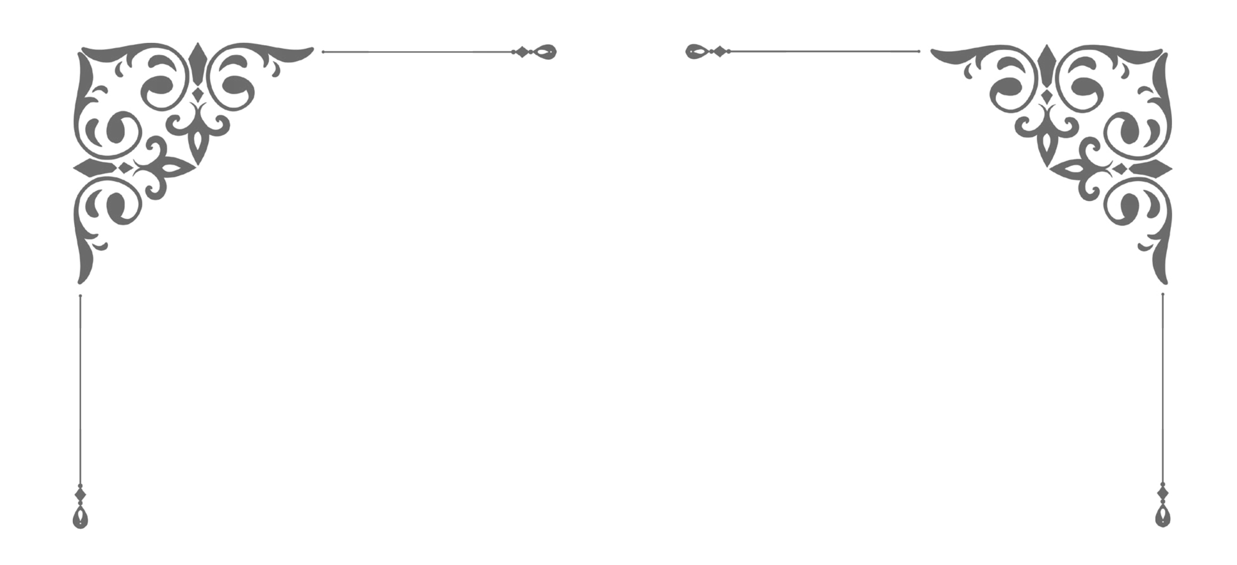
بأحجام مختلفة، وألوان متعددة، وفي تربة واحدة، وتسقى بماء واحد، ومن يستطيع فعل ذلك غير الله تعالى، الواحد القهار؟! قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ [سورة الرعد: آية ٤].

وإذا تأملنا الثمار الكبيرة الحجم على سبيل المثال، فإن الله قد جعل لها طريقة مناسبة لإكمال دورتها النباتية، من غير أن تضر نفسها، ولا غيرها، «فنبات اليقطين والبطيخ ينبت منبسطا على الأرض؛ ولو انتصب كما ينتصب الزرع لضعفت قوّته عن حمل هذه الثمار الثقيلة، ولنقصت قبل إدراكها، وانتهائها إلى غاياتها، فاقتضت حكمة مبدعها وخالقها أن بسطها على الأرض؛ فترى العِرْق الضعيف الدقيق من ذلك منبسطا على الأرض، وثماره مبثوثة حواليه كأنها حيوان قد اكتنفها أجراؤها، فهي ترضعهم، ولَمَّا كان شجر اللوبيا والباذنجان والباقلاء وغيرها مما يقوى على حمل ثمرته، أنبته الله منتصبًا، قائمًا على ساقه؛ إذ لا يلقى من حمل ثماره مؤنة، ولا يضعف عنه»[1].

وليس جميع الثمار الكبيرة تنبت منبسطة على الأرض كاليقطين والبطيخ؛ بل إنَّ هناك أنواعًا أخرى من الثمار الكبيرة تنبت على رؤوس الأشجار، كجوز الهند وغيرها، ولكن الله تعالى قد خلق فأحكم خلقه، فجعل لهذا النوع من الثمار جذوعًا كبيرة تستطيع أن تتحمل ثقل ثمرتها المتماسكة مع بعضها، فلا تسقط على الأرض غالبًا؛ بل لا بد من تدخل الإنسان عند قطفها، ولو لم تكن كذلك لربما سقطت على إنسان أو حيوان وألحقت الأذى به، فتبارك الله أحسن الخالقين.

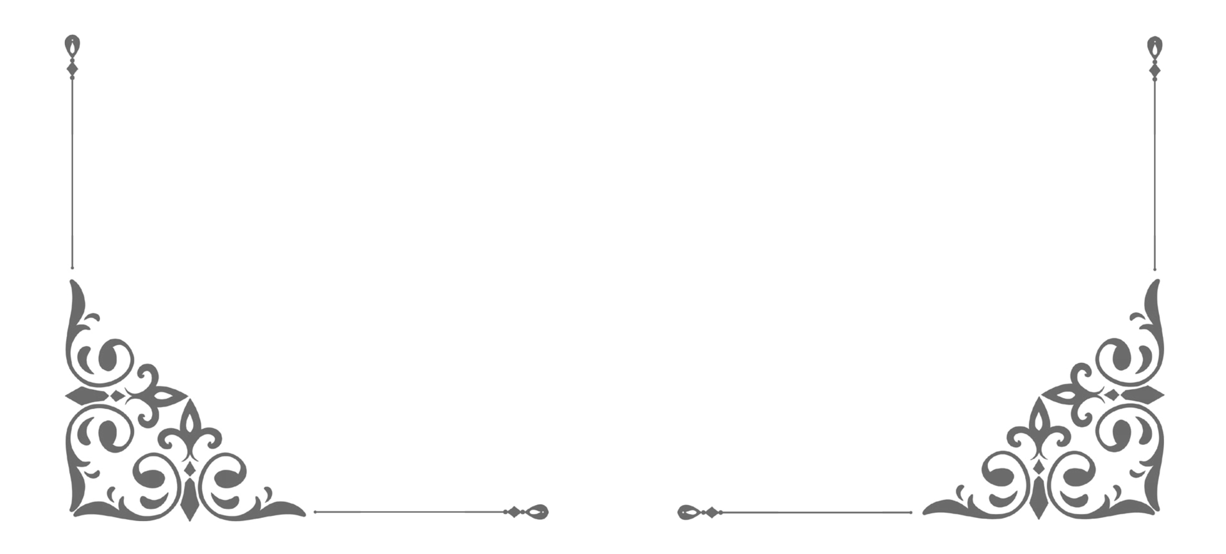
---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٩) بتصرف يسير.



المطلب الرابع

دلالة التنوع، والتشابه،
والاختلاف بالنبات على ربوبية الله تعالى



المطلب الرابع

دلالة التنوع، والتشابه، والاختلاف بالنبات على ربوبية الله تعالى

دليل تنوع النبات على ربوبية الله تعالى لا يخرج في حقيقته عن دليل العناية ودليل الإتقان، فتنوع النبات يدل على عناية الله تعالى بخلقه، وهو يدل أيضًا على أن هناك متقنًا مبدعًا خلق فأحكم خلقه وأتقنه.

وعندما نتأمل نصوص القرآن الكريم التي تحدثت عن النبات نجد أن أكثرها يدور حول دليل التنوع بالنبات وبثماره، والتي تتنوع في شكلها، وطعمها، وحجمها، ولونها، فتتحرك الفطر النقية، والعقول السوية تجاه ربها، فتذعن لأمره، وتنقاد لشرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

۞ وسأذكر بعضاً من الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا الدليل العظيم على ربوبية الله تعالى:

* قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٩].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٤١].

* وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الرعد: آية ٣-٤].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: آية ١٨-٢٠].

* وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة يس: آية ٣٣-٣٦].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الزمر: آية ٢١].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [سورة ق: آية ٧-١١].

* وقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الذاريات: آية ٤٩].



* وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الرحمن: آية ١٠-١٢].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة النبأ: آية ١٤-١٦].

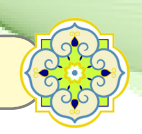
* وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٧-٨].

* وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة عبس: آية ٢٤-٣٢].

والآيات في الباب كثيرة، وكلها يستدل بها على ربوبية الله تعالى بما يشاهد من أنواع النباتات والزروع بمختلف الألوان من أشجار، وحدائق، وجنان تسر الناظرين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا التنوع: «فهذا النبات يغذي، وهذا يصلح الغذاء، وهذا ينفذه، وهذا يضعف، وهذا سم قاتل، وهذا شفاء من السم، وهذا يمرض، وهذا دواء من المرض، وهذا يبرد، وهذا يسخن، وهذا إذا حصل في المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق، وهذا إذا حصل فيها ولد الصفراء، واستحال إليها، وهذا يدفع البلغم والسوداء، وهذا يستحيل إليها، وهذا يهيج الدم، وهذا يسكنه، وهذا ينوم، وهذا يمنع النوم، وهذا يفرح، وهذا يجلب الغم، إلى غير ذلك من عجائب النبات التي لا تكاد تخلو ورقة منه، ولا عرق ولا ثمرة من منافع تعجز عقول البشر عن الإحاطة بها وتفصيلها»(١).

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٢).



والحديث عن دليل التنوع، والتشابه، والاختلاف بالنبات يطول، ولكني سأختصر بما يفي بالغرض على النحو الآتي:

أولاً: تنوع النبات في غذائه:

يختلف النبات عن الإنسان والحيوان في شأن الغذاء فهو لا يستطيع الحركة والذهاب حيث يشاء للبحث عن الغذاء كالإنسان، والحيوان، لكن الله تعالى جعل الغذاء يصل إلى النبات من خلال الماء والتربة،والعناصر اللازمة لنموه، ويمكن تقسيم النبات في طريقة حصوله على الغذاء إلى قسمين[١]:

أ) نباتات ذاتية التغذية:

وهذا النوع من النبات لا يحتاج إلى كائنات حية أخرى ليتغذى عليها، بل يعتمد على عناصر الغذاء التي أوجدها الله تعالى في التربة، ويندرج تحت هذا النوع معظم النبات.

ب) النباتات الآكلة للحوم[٢]:

من حكمة الله تعالى وبديع صنعه وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن خلق أنواعًا من النباتات التي تختلف عن غيرها في مصدر غذائها، إنها نباتات تعكس القاعدة المألوفة من أن الحشرات تتغذى على النباتات، فخلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنواعًا من النبات وجعلها تتغذى على الحشرات والفئران، وتُسمى النباتات اللَّاحمة، أو المفترسة، أو الآكلة للحشرات، إنها آية عظيمة تدل على أن لهذا الكون ربًا يخلق

(١) ينظر: المملكة النباتية د. حسين العروسي ص (٤)، أساسيات علم النبات العام د. محمود محمد جبر ص (٢١٠-٢١٣).

(٢) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٨٠-٨١)، الموسوعة الكونية الكبرى، ماهر الصوفي ص (٢٩٢)، وفي الشبكة العنكبوتية الكثير من مقاطع الفيديو، والصور لمثل هذا النوع من النباتات.

ما يشاء ويفعل ما يريد، ولا معقب لحكمه، وهو العزيز الحميد.

وبمـا أننا نعيش في عصر تطوَّر فيه العلم، وبلغ مبلغه، فإن الله تعالى قد هدى علمـاء النبات للسـبب الذي يجعل هـذا النوع من النبات يـأكل اللحوم، وينقض على الحشرات انقضاض الأسد على فريسته، فقالوا: إن هذه النباتات تفعل ذلك لتعويـض النتروجين[1] اللازم لغذائها، والذي لا يكون موجوداً في أماكن نموها، كما في بعض المستنقعات بخلاف بقية النبات الذي يحصل على هذا العنصر بكل سهولة من التربة التي ينمو بها.

وقد خص الله تعالى هذا النوع من النبات برائحة جذابة، أو ألوان زاهية تخدع الفريسـة، ومـن هذه الأنواع نبات يسـمى «خنـاق الذباب»[2]، وهو نبـات ميَّزه الله تعالى بالقدرة على القيام بحركات فائقة السرعة، للانقضاض على الفريسة بطريقة مذهلة، تدهش الناظرين، وتدل على عظمة رب العالمين، فقد جعل سـبحانه لهذا النبات سطحـًا أحمرَ يحتوي على ثلاث شعيرات صغيرة تعمل كمجسات، ثم ما إن يتم استثارة هذه الشعيرات عن طريق لمسها، حتى ينقض النبات بسرعة فائقة ويغلق أشواكه على الفريسة، ثم يبدأ بإفراز العصارات الهاضمة، وقد جعل الله تعالى لهذه النبتة طريقة غاية في الدقة والتنظيم؛ لِتَمييز الفريسـة الحقيقية من الشـوائب، وذلك أنها تنتظر حتى تستشـعر إحدى شـعيراتها بحركة فوقها، وتبقى تنتظر حتى تستشعر أخرى بالحركة نفسها، بفارق زمني لا يزيد عن عشرين ثانية، ومن ثم تغلق أشواكها بسرعة هائلة، فإن شعرت بأن الحركة شديدة فإنها تزيد من قبضتها وتزيد من سرعة الهضم؛ لأن سـرعة الحركة دليل على أن الفريسـة قوية وتقاوم من أجل الخلاص،

(١) تقدم التعريف به ص (٨٠).

(٢) ينظر: علم الإيمان للزنداني (٢/ ٨٠).

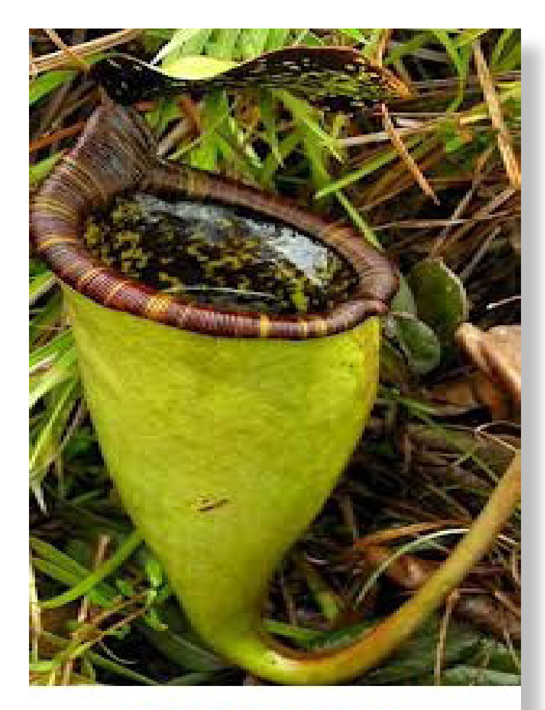
ثم تبدأ النبتة بإفراز العصارات الهاضمة، فإن تبين أن الفريسة كانت كاذبة ولم تكن حقيقية فإنها تفتح أوراقها مرة أخرى وتلفظها خارجًا.

فمن الذي هدى هذه النبتة إلى هذه الطريقة المحكمة في الحصول على غذائها، أهي الصدفة؟! أو تطورات المادة؟! كما يزعم الماديون، ومثل هذه الآيات العظام تجعل كل من يقول بالصدفة والطبيعة يقف حائراً أمام آيات الله تعالى التي تملأ الآفاق، وسبحان القائل: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة لقمان: آية ١١] والقائل: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الذاريات: آية ٢٠].

ومن هذه الأنواع أيضًا النبات «الإبريقي» الذي خلقه الله بشكل يساعده على اصطياد فريسته، فشكل أوراقه كالجرة، وله غطاء خارجي، فإذا ما هبطت حشرة، أو فأرة على رأس الجرة فإنها تنزلق إلى داخلها المليء بالسائل المائي، ثم يقفل الغطاء لمنع الفريسة من الهروب، وتفرز النبتة العصارات الهاضمة لتمتص الفريسة.

■ **وهذه بعض الصور لبعض الأنواع من النباتات الآكلة للحوم:**


خناق الذباب


النبات الإبريقي

ثانياً: تنوع النبات في أصنافه:

نجد في كتاب الله العديد من الأصناف النباتية التي يُسْتَدل بها على ربوبية الله تعالى، فأرض الله عَزَّوَجَلَّ مليئة بشتى الأصناف، والأنواع التي نراها في البر، والبحر، والجبل، والسهل، وبين الثلوج، وبين الصخور، بل وحتى في أعماق الأرض نجد أن الله تعالى قد حفظ بها الكثير من الأشجار التي تحللت وأخرجت لنا ما ننعم به في هذا الزمان من البترول الذي يعيش عليه الناس، فقرب البعيد، وأضاء الدنيا بالكهرباء، حتى وصل الماء إلى أعالي البنايات بفضل الله تعالى وحده.

وسأذكر بعض الآيات التي تحدثت عن هذا التنوع:

* قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة طه: آية ٥٣].

* وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة السجدة: آية ٢٧].

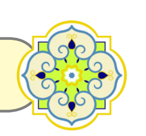
* وقال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٤٨].

* وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [سورة ق: آية ١١].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الزمر: آية ٢١].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة النبأ: آية ١٦].

وبالرجوع إلى كتب النبات نجد الكثير من الأصناف النباتية التي تصل إلى (٣٧٥٠٠٠) صنف، وكل صنف له أشكال مختلفة تتحد في النوعية، وتختلف في الشكل.



ومن أهم هذه الأصناف[(١)]:

الطحالب[(٢)]، الحزازيات[(٣)]، والنباتات الوعائية[(٤)].

وهناك تنوع آخر للنبات بحسب البيئة التي يعيش فيها، كالبيئات الباردة، والحارة، والمائية، والملحية وغيرها، وقد خص الله تعالى كل بيئة بأنواع من النباتات.

وأما الغابات فلها أنواع متعددة منها:

الغابات الاستوائية، والغابات المدارية، والغابات الجبلية، والغابات الشمالية، وغابات السفانا[(٥)].

---

(١) ينظر: علم أحياء النبات العلمي د. إبراهيم عارف ص (١٥٩) وما بعدها، والمملكة النباتية د. حسن العروسي ص (٩-١٢)، علم النبات العام د. مصطفى عبد العزيز ص (٤٣٨) وما بعدها، المملكة النباتية أعضاء هيئة التدريس بقسم النبات جامعة أسيوط ص (٨)، أساسيات علم النبات العام د. محمود محمد جبر ص (٣٦٠-٣٦٩).

(٢) الطحالب: هي نباتات ليس لها جذور، ولا سيقان، ولا أزهار، ولا أوراق حقيقية، فهي مجموعة من الخلايا تقوم الواحدة منها إلى جانب الأخرى وتعيش معظمها في البحار، والمياه المعدنية.ينظر: الطحالب د. عبد العزيز السراني ص (٧)، المملكة النباتية د. حسين العروسي ص (٢١)، النبات العام د. مصطفى عبد العزيز ص (٢٦٥).

(٣) الحزازيات: هي نباتات خضراء صغيرة تنمو عادة في المياه وفي الأماكن الرطبة، لها أشباه جذور، وأشباه سيقان، وأشباه أوراق، ولا تحتوي على أنسجة دعامية. ينظر: علم أحياء النبات العلمي د.إبراهيم عارف ص (١٩٩)، المملكة النباتية د. حسين العروسي ص (١١٥).

(٤) النباتات الوعائية: هي النباتات التي تحتوي على أوعية خاصة داخلها لنقل الماء، وأوعية أخرى لنقل الغذاء الجاهز إلى جميع أجزاء النبات، وتنقسم إلى نباتات بذرية، وغير بذرية، والنباتات الوعائية هي أكثر النباتات انتشاراً في الأرض، كالنخيل، والبرتقال، والتي، والزيتون، وغيرها. ينظر: النباتات الوعائية د. أحمد مجاهد ص (٣)، علم أحياء النبات العلمي د. إبراهيم عارف ص (٢٠٩).

(٥) ينظر: الجغرافيا النباتية د. محمد العودات ص (١٣٣-٢٠١)، جغرافيا المناخ د. يوسف فايد ص (٣٧٧)، أسس الجغرافيا المناخية والنباتية د. علي البنا ص (٣١٧).

وجميع هذه الغابات تزخر بأنواع كثيرة من الأشجار، والحشائش، والزروع، وبعضها لا يستطيع الإنسان السير بداخلها لشدة التفافها حول بعضها.

■ **وفي تنوع هذه الغابات حكمٌ إلهية من أهمها[١]:**

١. أنها تساهم في التوازن البيئي، وتهب للإنسان، والحيوان ما يحتاجه من الأكسجين بإذن الله تعالى.

٢. تحافظ على خصوبة التربة.

٣. تحفظ الإنسان بإذن الله من السيول الجارفة، والفيضانات المدمِّرة.

٤. جعل الله تعالى الغابات مصفاة طبيعية للغبار، والدخان، والغازات السامة، فهي منقية للجو من السموم، والتلوثات الضارة بجسم الإنسان، وما أكثرها في هذا الزمان.

٥. جعل الله الغابات مصدراً للأخشاب التي لا غنى للإنسان عنها.

٦. حفظ الله تعالى الكثير من الحيوانات بهذه الغابات وإلا لأفناها الإنسان.

٧. فيها بهجة للناظرين، وسعادة للنفوس، كما قال تعالى: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [سورة النمل: آية ٦٠].

فهل هناك أحد غير الله تعالى يستطيع أن يفعل ذلك؟ فالله وحده هو الذي نوع ما خلق من النبات، وحباه بأشكال مختلفة، وألوان متعددة، وفي هذا التنوع عبرة لأولي الألباب، وهذا التنوع نراه في الإنسان، والحيوان، والجبال، والتربة وغيرها.

---

(١) ينظر: الجغرافيا المناخية والنباتية د. عبد العزيز شرف ص (٣٧٠-٣٩١).



* قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الروم: آية ٢٢].

وعندما يذكرنا الله تعالى بآلائه وآياته في الأنفس والآفاق فإن ذلك يحرك القلوب إلى ربها، فالنظر والتأمل في آلاء الله ونعمه الظاهرة والباطنة يجعل العبد يحب ربه ويشكره بقلب صادق ولسان ذاكر[1].

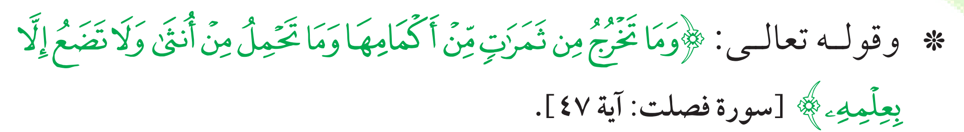
ثالثاً: التنوع في الثمار:

ورد ذكر الثمر في كتاب الله تعالى بصيغة الإفراد، والجمع في تسعة عشر موضعاً منها:

* قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢].
* وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٩].
* وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٤١].
* وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [سورة الرعد: آية ٣].
* وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [سورة القصص: آية ٥٧].
* وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [سورة فاطر: آية ٢٧].
* وقوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [سورة يس: آية ٣٥].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٥).



* وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [سورة فصلت: آية ٤٧].

إن الله تعالى يمتن على عباده بما أسبغ عليهم من نعمه العظيمة، التي لا يقدر على خلقها، وإيجادها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما تعددت الآيات التي تذكر الثمار بألوانها المتنوعة، وأصنافها الكثيرة، وطعومها المختلفة؛ لأنها محسوسة أكثر من غيرها من سائر أجزاء النبات الأخرى، فالإنسان يتغذى على هذه الثمار، فهي دائماً أمام عينيه، وبين فكيه يتنعم بها، وهذا أبلغ في الاستشعار والإحساس بآلاء الله تعالى.

وقد خلق الله عَزَّوَجَلَّ في كل بيئة ما يناسبها، ويناسب أهلها من الثمار، فبيئة أهل الجزيرة العربية مثلاً قليلة النبات، جافة أكثر العام، لذلك فقد حباها الله تعالى بالنخيل، والأعناب، وهما قوتان تؤكلان طرية، وجافة، وتدَّخر طوال العام، ونجد في المناطق الباردة أنواعاً أخرى من الثمار والفواكه تناسب أهل تلكم الديار، أما الحبوب من قمح، وذرة، وشعير وغيرها فهي قوت أكثر أهل الأرض؛ لذلك فهي تنبت في معظم البلاد، وفي مختلف البيئات، وسبحانه الرزاق الذي تكفل بأرزاق عباده فأخرج لهم أزواجاً من نبات شتى، فله الحمد وله الشكر.

وفيما يلي نعرض بعض الصور، وهي غيض من فيض للثمار المتنوعة التي خلقها ربنا تبارك وتعالى وبثها في الأرض:



مجموعة من الفواكهة



مجموعة أخرى من الفواكه

رابعاً: التشابه، والاختلاف في النبات:

من دلائل ربوبية الله تعالى في شأن النبات ما نشاهده من التشابه الكبير بين بعض النبات، إما في الشكل، أو في الثمر، وقد نبه الله تعالى عباده لهذه الآية العظيمة.

* فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩ ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٩].

* وقال تعالى في موضع آخر من نفس السورة: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٤١].

■ وللآية تفسيران[1]:

*** التفسير الأول:**

أن الزيتون، والرمان يتشابهان في الشكل والمنظر، ويختلفان في الثمرة، فشجرة الزيتون تشبه شجرة الرمان في اشتمالها على جميع الغصن.

قال الزجاج[2]: «وإنما قرن الزيتون بالرمان؛ لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره»[3].

وقد خصهما الله تعالى بالذكر لقربهما من العرب ولمعرفتهم لهاتين الشجرتين[4].

*** التفسير الثاني:**

أن الآية تعمُّ كل ما سبق ذكره من النبات، والمعنى أن من النبات ما يشبه بعضه بعضاً في اللون، والطعم، والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضاً.

وهذا التفسير أقرب للصواب؛ لوجود الاختلاف البين بين شجرتي الزيتون، والرمان، في شكلهما وإن تشابها في اشتمالهما على الأوراق في جميع الغصن.

فالفرق واضح بين حجم الشجرتين وأوراقهما، لكن إذا قلنا إن التشابه بين جنس شجرة الزيتون، وجنس شجرة الرمان، والاختلاف بين ثمرة كل منهما فهذا صحيح، فمن الزيتون ما هو أسود ومنه ما هو أخضر، ومنه ما هو مرّ الطعم، ومنه ما هو ليس كذلك، ومنه الصغير الحجم، ومنه الكبير، ومثله الرمان.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز لا بن جزي (٢/ ٣٢٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٩٤).
(٢) تقدمت ترجمته. ينظر: ص (٨١).
(٣) زاد المسير (٣/ ٩٤).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٧/ ٤٩)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٤٤).

■ وخلاصة القول أن التشابه بين النبات على قسمين:

الأول: مـا يشـبه بعضه بعضـاً في الشـكل ويختلف في الثمر، وهذا التشـابه قد يكون بين جنسين مختلفين، كشجرة الليمون، والبرتقال، وغيرهما.

وقـد يكون بين جنس واحـد كالنخل، والعنب، وغيرهمـا، فمن الرطب ما هو أحمر، ومنه ما هو أصفر، ومنه الصغير، والكبير، وله طعوم بينها نوع من الاختلاف.

الثاني: ما يشبه بعضه في الثمر ويختلف في الشكل:

ومن أمثلة ذلك نبات «العِتْر» ونبات «الشِّفلَّح» وهما نبتتان توجدان في أرض الحجاز، لثمرتهما طعم واحد، مع اختلافهما في الشكل الظاهري.

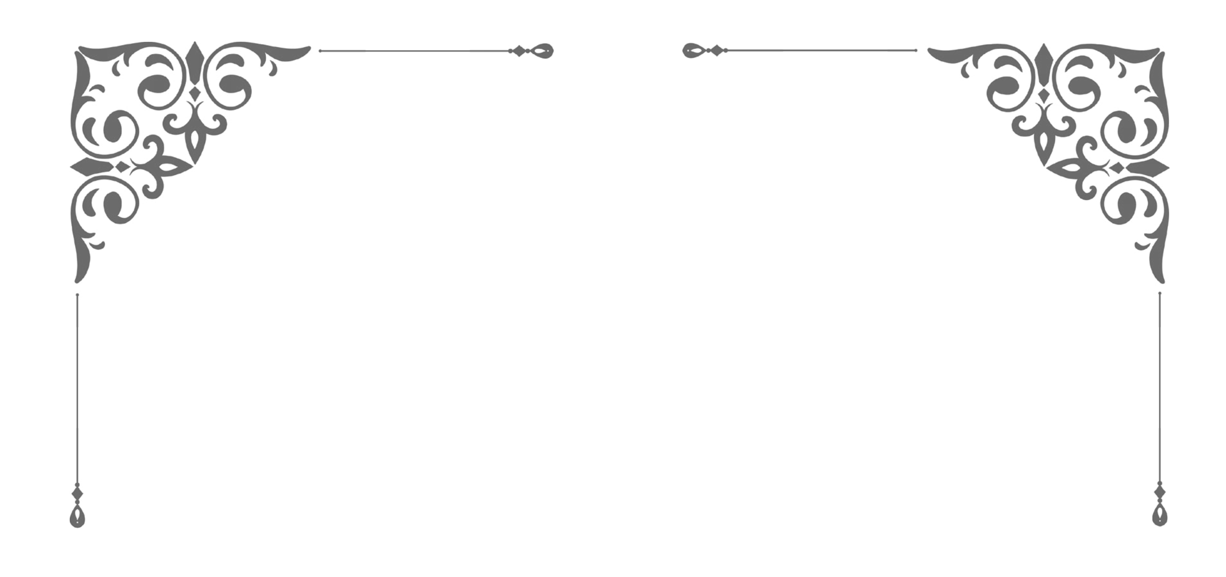
■ وهذه بعض الصور للتشابه والاختلاف بين النبات:


العـتـر


الشـفلـح

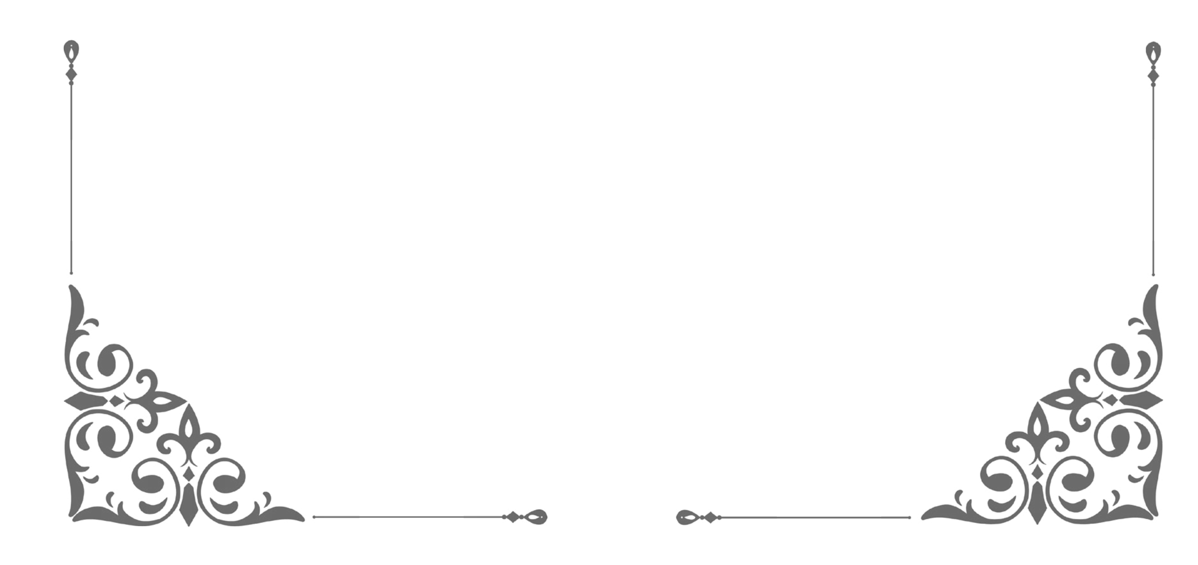

شجرة الزيتون


شجرة الرمان



المطلب الخامس

الرد على نظرية التطور في النبات



المطلب الخامس

الرد على نظرية التطور في النبات

بما أن موضوع بحثنا هو المسائل العقدية المتعلقة بالنبات فسيكون حديثنا عن دعوى تطور النبات حسب النظرية الداروينية[1]، ويمكن تفنيد مزاعمهم من ناحيتين:

أولاً: دعواهم أن الإنسان تطور من النبات[2]:

يدعي المنخدعون بنظرية التطور أنه لما وُجِد الماء، والهواء على ظهر الأرض ظهر في الماء نوع ابتدائي من حيوان أحادي الخلية، وظل يقطع مراحل التطور والنمو مدة طويلة، ويتشكَّل في أشكال الأنواع المعقَّدة والمتعدِّدة الخلايا، ثم ظهرت هذه الأنواع الجديدة في قالب النبات عبر المراحل الكثيرة التعقيدات للتطور والنمو، ثم تطور النبات وأنواعه حتى ظهرت في صورة الحيوان الحقير الذي ما زال يغير أشكاله وهيئاته بالاستمرار إلى أن برز في شكل متقدم ومتطور

---

(١) مؤسس هذه النظرية التي تسمّى: نظرية التطور، أو نظرية دارون، أو نظرية النشوء والارتقاء هو: تشارلس روبرت دارون، ولد سنة ١٨٠٩م، وتوفي سنة ١٨٨٢م، درس الطب ثم تخصص بالتاريخ، وقد ظهر كتابه «أصل الأنواع» سنة ١٨٥٩م، وركز فيه على قانون الانتقاء الطبيعي، وبقاء الأنسب، وجعل الجدَّ الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها، وقد ساهمت هذه النظرية في نشر الإلحاد، ومحاربة الأديان. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة محمد شفيق (١/ ٧٧٤)، الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق المعاصرة (٢/ ٦٨٠)، خديعة التطور هارون يحيى ص (١٥-١٩)، دارون ونظرية التطور شمس الدين آف ص (٥-١٣)، العقيدة في الله عمر الأشقر ص (٨٤).

(٢) ينظر: خديعة التطور هارون يحيى ص (٤٥)، مشاهد الربوبية في دنيا النبات للندوي ص (٥٩)، المعجزات الأربعة في الإعجاز العلمي هارون يحيى ص (١٠٣) وما بعدها.

جداً يسمى بالإنسان[1].

هذا ملخص تلك النظرية الخرافية الإلحادية التي أراد مؤسسوها نشر الإلحاد في ذلك الوقت؛ لكي يبعدوا الناس عن عقيدتهم الراسخة في قلوبهم،وهي أن الله تعالى هو الخالق للإنسان وغيره من المخلوقات، وقد انخدع بهذه النظرية الكثير على مدى مائة وخمسين عاماً، وقد أصبحت الآن في متحف النسيان بعد أن أثبت العلم القائم على التجربة بطلان النظرية، وأنها غير علمية على الإطلاق[2].

ولن نطيل الكلام في الرد على هذه النظرية التي يكذبها العقل والمشاهدة، ورحم الله شيخ الإسلام عندما قال:«واعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه لم يكن للناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً، فإن هذا لا يكون إلا للحق، فأما الباطل فإذا بيِّن فبيانه يظهر فساده»[3].

■ **لذلك فسأكتفي بثلاثة ردود موجزة في الرد على هذه الخرافة الإلحادية:**

١. نقول لهم: كيف ظهرت الحياة ابتداء من الماء في حين أن التجارب العلمية أكدت تأكيداً قاطعاً أن المادَّة الميتة وغير المتحركة لا تستطيع أن تنتج حياً متحركاً.

وأصحاب نظرية التطور يرون أن ابتداء الحياة لم يوجد على وجه الكرة الأرضية بل نزلت إلى الأرض من إحدى السيارات الأخرى على عواتق الأحجار النيزكية أو الشهب.

---

(١) ينظر: مشاهد الربوبية في دنيا النبات للندوي ص (٦٠).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ٩٣٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٥).

ونحن نقول: من أين وجدت الحياة في السيارات الأخرى؟!

والجواب الذي تعرفه قلوبهم وتأباه ألسنتهم أن الله تعالى هو الخلاق العليم، المتفرد بالخلق، والملك، والتدبير والتصرف المطلق في هذا الكون، وبدون الاعتراف والإيمان بوجود الله تعالى فإنهم يدورون في حلقة مفرغة، وظل دارون ومن تبعه يسيرون في طريق مغلق؛، لأنهم لم يجدوا دليلاً واحداً يكون مقبولاً عقلاً، أو مشاهدة[(١)].

٢. أننا لم نشاهد أي تغير جسدي، أو سلوكي لأي نوع من الأحياء التي نراها، فلم نرَ ذبابًا يولد من بعوض! ولا دجاجة من بطة، أو حمامة، وهل من الممكن أن يخرج من بطن إنسان نوع من الحيوان يكون أعلى منه، أو اشد تعقيدًا؟! [(٢)]

٣. أن المادة الحية الأولى لأي نوع من أنواع الأحياء التي تقارب الملايين من أحادي الخلية إلى الإنسان الكامل لم تتبدل، ولم تنته في هذه المدة الطويلة كما تقول وتدعي نظرية التطور.

فالبعوضة هي البعوضة منذ آلاف السنين والقط في شكله وعلى حاله، وكذا الكلب، وكذا جميع الأحياء الأخرى، وكان من الممكن أن يصح التعليل الذي تقدمه هذه النظرية لو انطمس وجود النوع الأدنى بعد وجود النوع الأعلى منه، ولكن ذلك لم يحصل فما أبعد الاستدلال عقليًا وعلميًا أن نفترض في الماضي مثل هذه الإحداثيات بدون دليل من العقل، أو المشاهدة، ثم تقام عليها عمارة مشيدة[(٣)]. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النمل: آية ٦٤].

---

(١) ينظر: مشاهد الربوبية في دنيا النبات ص (٦٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: المصدر السابق ص (٦١).



ثانيـاً: دعواهـم تطور النبـات من الطحالـب ابتـداء إلى غيرها من أنـواع النباتات الأخرى[1]:

مـن أسـاطير التطوريين زعمهـم أن نتيجة التيارات البحريـة حصل انجراف للطحالب البحرية باتجاه اليابسـة، ثم تحولت إلى نباتات أرضية، بعد ذلك بفترة وجيـزة تطورت من طحالب إلـى حزازيات، ومن ثم إلى سـراخس، ثم عاريات البذور، ثم مغطاة البذور، وهكذا انتشر النبات وتكاثر[2].

وليس لهؤلاء دليل محسوس ولا معقول على هذه التخرصات، والحفريات التي قد يسـتدلون بها أثبتت عكس قولهم، فالطحالب التي عثروا عليها ويزعمون أنها تطورت هي نفسها الموجودة اليوم، وقد تم اكتشاف طحالب ذات لون أخضر في استراليا عام ١٩٨٠م يقدرون عمرها من ٣ إلى ٤ بليون سنة، وأصحاب التطور يقولون إن تطور الطحالب تم خلال الفترة من ١٠٠ إلى ١٥٠ مليون سـنة، وهذا الاكتشاف يكذب نظرية التطور، ويكذب استدلالهم بالحفريات[3].

وقـد اجتهـد بعض الكتـاب في الرد على هـذه الدعاوى من خـلال الحقائق العلميـة، ومن ذلـك قولهم: كيف اسـتطاعت هـذه الطحالب البحريـة أن تقاوم الجفـاف بعد أن قذفت بهـا الأمواج في الصحراء، وكيف أخـذت الماء والمعادن التي تحتاجها مباشـرة في غذائها، وكيف اسـتطاعت أن تتكاثـر، ومعلوم أن دورة حياتها قصيرة الأمد وطريقة تكاثرها تكون باستخدام الماء لتنتثر خلايا التكاثر[4].

---

(١) ينظـر: المعجزات الأربعة في الإعجاز العلمي هـارون يحيى ص (١١٣)، خديعة التطور هارون يحيى ص (٤٥).

(٢) ينظر: تصنيف النباتات الزهرية د. شكري إبراهيم ص (٦٥).

(٣) ينظر: المعجزات الأربعة هارون يحيى ص (١١٣).

(٤) ينظر: المعجزات الأربعة هارون يحيى ص (١١٥).

والأولى من ذلك كله أن يقال لهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النمل: آية ٦٤]، ولا برهان لهم من وحي، ولا عقل، ولا مشاهدة، ورمي الكلام بلا دليل غير مقبول، ولو كان لكل شخص أن يدعي ما يريد ويسميه نظرية أو اكتشافًا لجاز لأحدهم أن يدعي باسم النظرية أن الجبال أصلها يعود إلى الماء، وأصل الماء يعود إلى القمر، وأصل الإنسان من الجن، والجن من الذهب...إلخ وكلا القولين مصدره واحد، تصور بشري عار عن الدليل ولكن النظرية الداروينية خدمت إعلاميًا، وسياسيًا، وفكريًا حتى ظن البعض أنها حقيقة علمية.

والأمر المثير للاستغراب أنك تجد بعض المؤلفين في علم النبات من المسلمين يجارون الداروينيين في نظريتهم، ويقبلونها دون تمحيص أو مناقشة، مع وجود الفارق بينهم وبين الداروينيين[(١)].

فالمسلم لا يؤمن بالصدفة، ويعتقد أنَّ الله تعالى هو الخلَّاق العليم.

* كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الطور: آية ٣٥].
* وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الزمر: آية ٦٢].
* وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٤].

ولو أن هؤلاء الكتاب علقوا الأمر بمشيئة الله تعالى وقالوا تطورت الطحالب بإذن الله تعالى إلى كذا، لكان الأمر أهون، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي

---

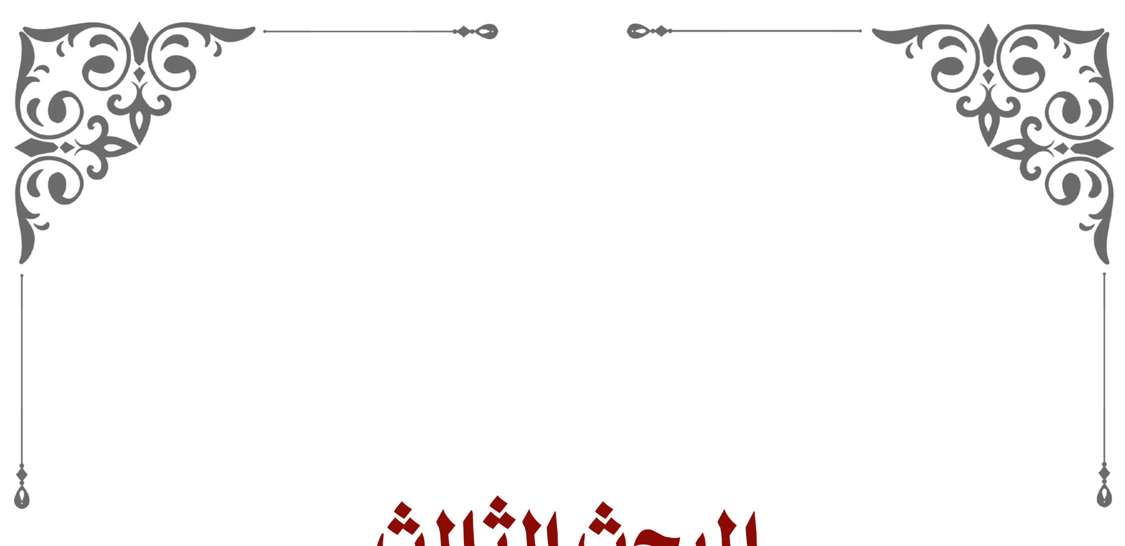
(١) ينظر على سبيل المثال:
النبات العام د. مصطفى عبد العزيز ص (٩٩).
النباتات الوعائية غير البذرية د. أحمد مجاهد ص (٣).
تصنيف النباتات الزهرية د. شكري إبراهيم ص (١).

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدي فقال: «**خلق الله عَزَّ وَجَلَّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين،...**» الحديث[1].

ومعلوم أن الشجر غير الطحالب، والدارونيون يدعون أن الطحالب هي أصل النبات، ومنها تطور النبات إلى سائر الأنواع الأخرى، وهذا الحديث يرد تلك المزاعم، فالشجر خلق يوم الاثنين، ولم يذكر الحديث تفاصيل ومراحل خلق النبات، كما هو الحال لخلق آدم u، فنخلُص إلى أن حديثهم عن تطور النبات مجرد ادعاء بلا دليل، وفي كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنية عن تلك الخرافات الإلحادية.



(١) تقدم تخريجه ينظر ص (١٨).



المبحث الثالث

دلالة النبات على توحيد الأسماء الحسنى، والصفات العليا.

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** التعريف بتوحيد الأسماء والصفات.
- **المطلب الثاني:** دلالة النبات على كمال الله تعالى.






المطلب الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

هو الإيمان بما وصف الله به نفســه في كتابه، أو وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأســماء الحســنى والصفات العُلى، وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به I[1].

وعرَّفه الشــيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ بتعريف جامع حيث قال: «توحيد الأسماء والصفــات وهــو: اعتقاد انفراد الرب جَلَّ جَلَالُهُ بالكمــال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه.

وذلــك بإثبــات ما أثبته الله لنفســه، أو أثبته له رســوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جميع الأســماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب، والسنة على الوجه اللائــق بعظمته، وجلاله من غير نفي لشــيء منها، ولا تعطيــل، ولا تحريف، ولا تمثيــل، ونفــي ما نفاه عن نفســه، أو نفاه عنه رســوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مــن النقائص، والعيوب ومن كل ما ينافي كماله»[2].

***

---

(١) ينظر: أعلام السنة المنشورة في اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة حافظ حكمي ص (٥٧).

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد للسعدي (١/ ١١) مجموعة السعدي.

المطلب الثاني

دلالة النبات على كمال الله تعالى

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى

الاستدلال بقياس الأولى على كمال الله تعالى

وله طريقان:

■ الأول: طريق الترجيح والتفضيل:

وهو أنَّ كلَّ كمال ثبت للمخلوق فالخالق سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أولى به من باب أولى فطرة وبداهة. ومن الأدلة على ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النحل: آية ٦٠].

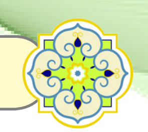
والمراد بالمثل الأعلى: الوصف الأعلى والأكمل والأفضل[(١)].

٢. ما ورد في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى على صيغة (أفعل) التفضيل مثل: أعلم، أكرم، أبقى، أعلى، أرحم الراحمين، أحكم الحاكمين، وغيرها كثير.

فهذه النصوص تدل على أن ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال فإن الله تعالى أولى بها.

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٠)، الأدلة العقلية النقلية للعريفي ص (٣٥٩).



وبالنظر في عالم النبات نجد أنه مليء بصفات الكمال التي أولى بها الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فجمال الزهور، وما حباها الله به من الألوان الزاهية، التي تأخذ القلوب وتستوقف الناظر إليها، فهذا الجمال يدل على اتصاف الله تعالى بصفة الجمال.

وقوة بعض الأشجار وشموخها تدل على قوة الله تعالى وعزَّته، وصبر بعض الأشجار على شدة حرارة الشمس في الصحاري والقفار يدل على اتصاف الله تعالى بهذه الصفة.

وطول حياة بعض الأشجار حتى إن بعضها ليعمر آلاف السنين يدل على أن الله تعالى هو الحي... وهكذا.

■ الثاني: دلالة الأثر على المؤثر:

والمراد بهذه الطريقة: أن واهب الكمال ومعطيه وفاعله أحق بالاتصاف به من الموهوب المُعْطَى[1].

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الطريق الأخرى في إثبات الصفات وهي الاستدلال بالأثر على المؤثر، وأن من فعل الكمال فهو أحق به... فالاستدلال بالأثر على المؤثر أكمل لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [سورة فصلت: آية ١٥]، وهكذا كل ما في المخلوقات من قوة، وشدة تدل على أن الله أقوى وأشد، وما فيها من علم يدل على أن الله أعلم، وما فيها من علم وحياة يدل على أن الله أولى بالعلم والحياة»[2].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٥٠)، الأدلة العقلية النقلية للعريفي ص (٣٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى بتصرف يسير (١٦/ ٣٥٦).

وإذا نظرنا إلى النبات نجد أنه مليء بالشواهد لهذا النوع من الاستدلال، فتنوع النبات في أشكاله، وبيئاته، وثماره يدل على سعة علم الله تعالى، وما جعل الله تعالى في بعض النبات من الشفاء لكثير من الأمراض يدل على أن الله هو الشافي، وجمال الزهور والزروع يدل على أن الله تعالى هو الجميل، وكون النبات مصدراً لغذاء الإنسان والحيوان يدل على رحمة الله تعالى بخلقه وأنه هو الرزاق... وهكذا.





المسألة الثانية

دلالة الفعل على صفات الفاعل

تظهر آثار صفات الله تعالى جليةً في مفعولاته كالإحياء، والإماتة، والرزق، وإنزال الغيث، وإنبات النبات، وإهلاك العصاة، وتدبير شؤون الخلق، وغير ذلك من أفعال الرب تعالى، التي تدل على كمال قدرته، وكمال حكمته، وعلمه، ورحمته.

ومخلوقات الله تعالى مع دلالتها على وجود الله فإنها ايضاً تدل على كثير من صفات الكمال الثابتة له سبحانه، ويُعتبر التَّعَرُّف على الله تعالى من خلال آثار صفاته في مفعولاته من أعظم الطرق الشرعية الدالة على وجود الخالق عَزَّوَجَلَّ[(١)].

وسأذكر بعض الأمثلة الصريحة لهذا الدليل:

■ ١) **قوله تعالى:** ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الملك: آية ١٤].

إن خلق الله تعالى للمخلوقات دليل على علم الله تعالى.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثيراً ما يقرن بين خلقه وإثبات علمه... لأن خلقه للمخلوقات أدل دليل على علمه وحكمته وقدرته»[(٢)].

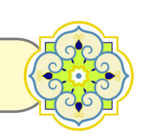
وإذا نظرنا إلى عالم النباتات نجدها تدل على صفات كمال الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الروم: آية ٥٠].

فإحياء الأرض بالنبات يدل على سعة رحمة الله تعالى بخلقه.

---

(١) ينظر: الأدلة العقلية النقلية للعريفي ص (٣٤٨).

(٢) تفسير السعدي ص (٤٨).



■ **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٥]

فختم سبحانه الآية بذكر صفتي العزة، والحكمة؛ إذ إنه لا يقدر على إيجاد الخلق إلا عالم عزيز حكيم قادر.

وأيضاً فإن ما في المخلوقات ومنها النبات من الإحكام، والإتقان، والإبداع ما يقتضي علم الفاعل لها؛ لأن العمل المتقن يمتنع صدوره عن غير العالم، وقد تقدم الحديث عن آية الإحكام والإتقان بالنبات[١].

وإذا نظرنا إلى حفظ الله تعالى للنبات في مختلف البيئات في البر، والبحر، والسهل، والجبل نعلم أن الله تعالى هو الحافظ.

ونمو النبات بمقدار وميزان يدل على حكمة الله، وقدرته، وعلمه[٢].

وتناسب النبات مع البيئة[٣] يدل على عناية الله، وحكمته، ورحمته وعظمته.

❊❊❊

(١) ينظر ص (١٠١).

(٢) ينظر ص (٧٨).

(٣) ينظر ص (٨٧).



دلالة النبات على توحيد الألوهية

وفيه ثمانية مطالب :

- **المطلب الأول :** عبودية النبات لله تعالى.
- **المطلب الثاني :** القَسَم بالنبات.
- **المطلب الثالث :** الولاء والبراء عند النبات.
- **المطلب الرابع :** حكم تصوير النبات ونحته.
- **المطلب الخامس :** التداوي بالنبات.
- **المطلب السادس :** العقائد الخاطئة المتعلقة بالنبات.
- **المطلب السابع :** حكم وضع غصن الشجرة على القبر.
- **المطلب الثامن :** علاقة بالجانِّ بالنبات.

المطلب الأول

عبودية النبات لله تعالى

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى

تسبيح النبات[١]

النبات خلق من مخلوقات الله تعالى يشترك مع سائر المخلوقات بتسبيح الله وتنزيهه عن كل مالا يليق بجلاله وكماله.

* قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الإسراء: آية ٤٤].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة النور: آية ٤١].

* وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [سورة الحشر: آية ١].

* وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ [سورة الجمعة: آية ١].

* وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [سورة التغابن: آية ١].

والتسبيح لغة: الإبعاد عن السوء[٢].

وشرعاً: تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا عن كل مالا يليق بكماله وجلاله[٣].

---

(١) ينظر: تسبيح الكون، أحمد شوقي (١٤١)، صور من تسبيح الكائنات لله، زغلول النجار (١١٤).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٤٧١)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي (١/ ٢٨٢)، النهاية، لابن الأثير (٥/ ٤٢).

(٣) ينظر: شفاء العليل، لا بن القيم (١/ ١٧٩)، تفسير السمعاني (٦/ ٢٥)، أضواء البيان (٨/ ٤٩٩).

والآيات السابقة كلها عامة يدخل فيها النبات ولم ترد آية تخصص النبات بالذكر في شأن التسبيح ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ [سورة الإسراء: آية ٤٤].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما يلفت النظر أن التسبيح الذي في معرض العموم كله في القرآن مسند إلى «ما» دون «من» إلا في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، وهذا شاهد على شمول « ما » وعمومها المتقدم ذكرها؛ لأنه سبحانه أسند التسبيح أولا إلى السماوات السبع والأرض صراحة بذواتهن، وهن من غير العقلاء بما في كل منهن من أفلاك، وكواكب، وبروج، أو جبال، ووهاد، وفجاج، ثم عطف على غير العقلاء بصيغة « من » الخاصة بالعقلاء فقال: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ وبهذا شمل إسناد التسبيح لكل شيء في نطاق السماوات والأرض عاقل، وغير عاقل، وقد أكد هذا الشمول بصريح قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ وكلمة « شيء » أعم العمومات، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [سورة الزمر: آية ٦٢]، فشملت السماوات والأرض، والملائكة، والإنس، والجن، والطير، والحيوان، والنبات، والشجر، والمدر، وكل مخلوق لله تعالى».[1].

وتسبيح النبات تسبيح حقيقي يعلمه الله تعالى ونحن لا نعلمه والواجب علينا التسليم والتصديق بكل ما أخبرنا الله به في كتابه أو أخبرنا به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في السنة الصحيحة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقاعدة المقررة عند العلماء أن نصوص الكتاب

(١) أضواء البيان (٨/ ٤).

والسـنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها المتبادر منها إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه... وتسبيح السموات ونحوها من الجمادات يعلمه الله ونحن لا نفقهه أي: لا نفهمه وذلك في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [سورة الإسراء: آية ٤٤].

وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن تسـبيح الجمادات المذكورة فيها وفي قوله تعالى ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٧٩]، ونحو ذلك تسبيح حقيقي يعلمه الله ونحن لا نعلمه»[(١)].

ومن الخطأ ما يتناقله بعض من الناس في الشبكة العنكبوتية من الجزم بسماع علمـاء النبـات لذبذبات وأصوات تصـدر من النبات والقول بأن ذلك تسـبيح لله تعالى يصدر من الأشـجار الاستوائية وهذا الكلام فه نظر؛ لأن هذه الذبذبات قد تكون تسـبيحًا وقد لا تكون كذلك، والله وحده هو الذي يعلم ذلك التسـبيح، أما نحن فنؤمن بذلك ولكننا لا نفقه كنه ذلكم التسـبيح الصادر من النبات وغيره من الجمادات.



(١) أضواء البيان (٤/ ٢٣٢)، وينظر: الروح، لا بن القيم (١/ ٧٢).



المسألة الثانية

سجود النبات لله تعالى

النبات خلق من خلق الله تعالى، له يسبح ويسجد، وينقاد لأمره مثل السموات والأرض، وغيرها من المخلوقات العظيمة.

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨)﴾ [سورة الحج: آية ١٨].

* وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)﴾ [سورة النحل: آية ٤٨].

* وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)﴾ [سورة الرحمن: آية ٦].

وفي المراد بالنجم قولان(١):

١. ما لا ساق له من النبات بدليل اقترانه مع الشجر.

٢. نجم في السماء بدليل أن الله تعالى ذكر أن النجم يسجد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ [سورة الحج: آية ١٨] ولعل في ذكر سجود النجم مع سجود الشجر حكمة هي أن أبعد الأشياء وأقربها لنا يشتركان في الخضوع والسجود لله تعالى، ويدخل في ذلك ما بينهما من المخلوقات.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١١-١٢)، تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٢)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٩٦)، تفسير البغوي (٤/ ٣٣١)، تفسير ابن عطية (٥/ ٢٢٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٠٦).

■ ولسجود المخلوقات لله تعالى معنيان[1]:

١. **سجود شرعي:** وهو السجود الحقيقي ويكون بوضع الجبهة على الأرض، وهذا ينطبق على سجود المؤمنين لله تعالى.

كقوله تعالى: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ١٠٧-١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة مريم: آية ٥٨].

٢. **سجود لغوي:** بمعنى الانقياد والذل والخضوع، وسجود النبات قد يحمل على المعنى اللغوي، فيكون بمعنى الانقياد والخضوع لله تعالى، وقد يحمل على السجود الحقيقي.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سجود الظل: «والله تعالى قادر على أن يخلق لها إدراكًا تدرك به وتسجد لله سجودًا حقيقيًا... ونحن نقول: إن الله جل وعلا قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكًا يسجد به لله تعالى سجودًا حقيقيًا»[2].

وما قاله الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينطبق على سجود النبات وغيره، فهي تسجد لله تعالى سجودًا على ما أراد الله تعالى، والعلم بحقيقته موكول إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

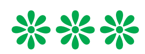
وقد انتشرت بعض الصور في الشبكة العنكبوتية لبعض الأشجار وقد خلقها الله على هيئة السجود، وقالوا: إنها في حالة سجود حقيقي كسجود الإنسان، وهذا

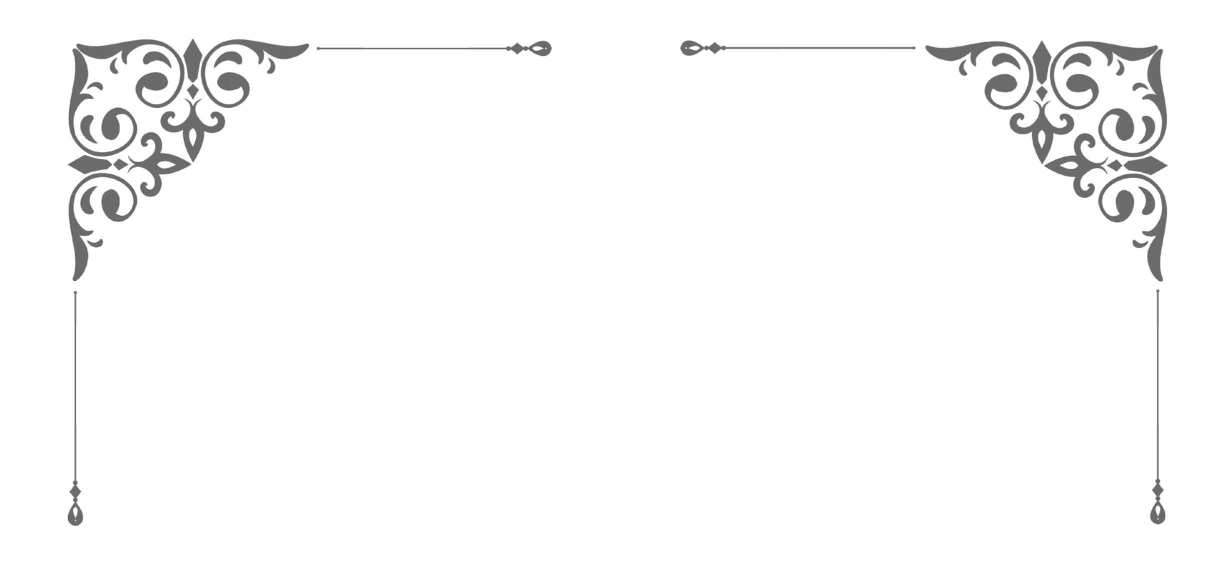
---

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٣٨)، التحرير والتنوير للألوسي (١٧/ ٢٢٦)، المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٩٦).

(٢) أضواء البيان (٢/ ٢٣٧-٢٣٨). وينظر: تفسير السمعاني (٥/ ٣٢٣).

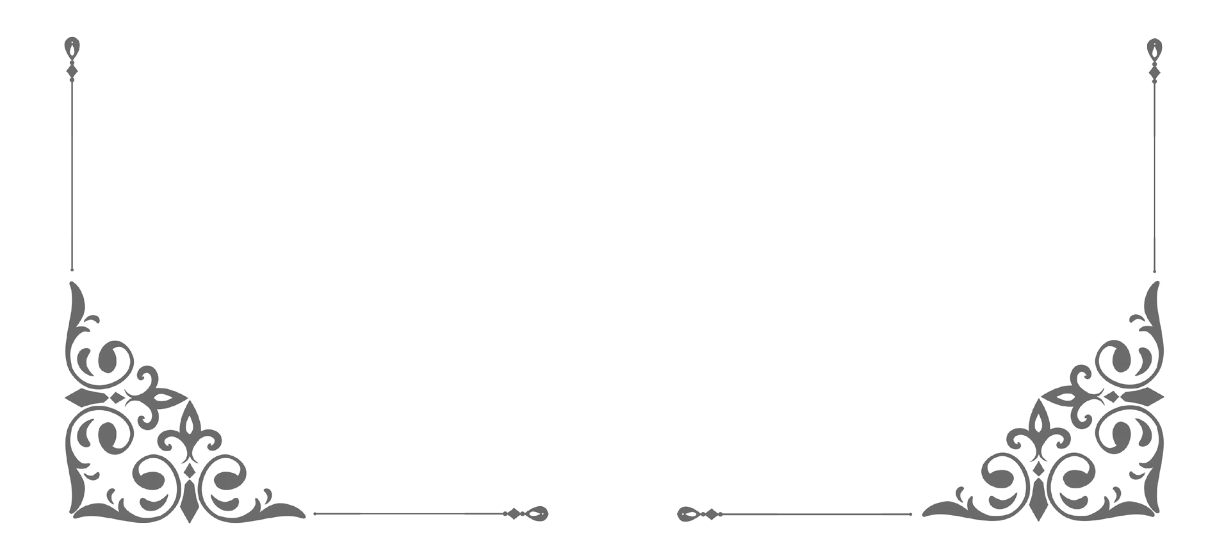
غيـر دقيق، والصحيـح ما قدمناه من أن الله تعالى هو وحده العالم بكيفية سـجود الأشجار وغيرها.

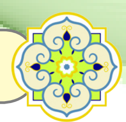




المطلب الثاني

القَسَمُ بالنبات





المطلب الثاني

القَسَمُ بالنبات[(١)]

لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات، لا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،ولا بالكعبة، ولا بالأمانة، ولا بالنبات، ولا غير ذلك من سائر المخلوقات للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، وقد حكى ابن عبد البر الإجماع على تحريم الحلف بغير الله[(٢)]، ومن الأدلة على ذلك:

١. عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».[(٣)]

٢. عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(٤)].

٣. عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف**

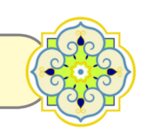
---

(١) ينظر: مجموع فتاوى بن باز (٣/ ١٤٣)، شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (٢٦١)، مجموع الفتاوى (١/ ٨١)، معارج القبول، للحكمي (٢/ ٤٩٥)، تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ (٤٩٦).

(٢) ينظر: التمهيد (١٤/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً برقم (٥٧٥٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان برقم (١٦٤٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٠٧٢)، وأبو داود في السنن برقم (٣٢٥١)، والترمذي في سننه برقم (١٥٣٥)، وقال: (هذا حديث حسن)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٨١٤)، وقال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٤٢)، وفي إرواء الغليل برقم (٢٥٦١).



بالأمانة فليس منا»[1].

٤. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[2].

٥. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله**»[3]. ووجه ذلك أن الحالف بغير الله قد أتى بنوع من الشرك فكفارة ذلك أن يأتي بكلمة التوحيد عن صدق وإخلاص ليكفر بها ما وقع منه من الشرك.

وقد كان كفار قريش يقسمون باللات والعزى، وقال بعض المفسرين[4]: إن العزّى شجرة من السَّمُر قد بني حولها، وجعل لها أستار، وعمومًا فإن القسم بالنبات يعتبر قليلاً إن وجد مقابل القسم بالأنبياء، والكعبة، والأصنام، والحكم في ذلك كله واحد وهو: عدم جواز القسم بغير الله تعالى، فهو العظيم المستحق للإجلال والتعظيم.

❋❋❋

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٣٠٣٠)، وأبو داود في السنن برقم (٣٢٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (١٩٦٢١)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٨١٦)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم (٩٤).

(٢) أخرجه النسائي، في السنن الكبرى برقم (٤٧١٠)، وأبو داود في السنن برقم (٣٢٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (١٩٦١٣)، وبن حبان في صحيحه برقم (٤٣٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: (فأوحى على عبده ما أوحى) برقم (٤٥٧٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٨/ ٧٢)، تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥).



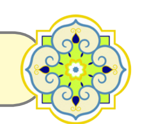

المطلب الثالث

الولاء والبراء عند النبات

وفيه تمهيد وخمس مسائل:

- **التمهيد:** تعريف الولاء والبراء، والمـراد بالولاء والبراء عند النبات.
- **المسألة الأولى:** حنين الجذع.
- **المسألة الثانية:** شهادة الشجر للمؤذن.
- **المسألة الثالثة:** تلبية الشجر مع المسلم.
- **المسألة الرابعة:** موالاة الشجر للمؤمنين.
- **المسألة الخامسة:** موالاة شجر الغرقد لليهود.





التمهيد

تعريف الولاء والبراء، والمراد بالولاء والبراء عند النبات

أ) تعريف الولاء والبراء في اللغة:

الولي في اللغة: هو القُرْب تقول: تباعد بعد وَلْي، أي: بعد قُرب وتقول: جلس مما يليني: أي: يقاربني. وهو التابع المحب.

والصديق والنصير[١].

وأما برئ فبمعنى: تنزه وتباعد[٢].

ب) تعريف الولاء والبراء في الاصطلاح[٣]:

معتقد الولاء والبراء يعود إلى معنيين[٤] هما: الحب والنصرة في الولاء وضدهما في البراء.

فالولاء شرعاً: هو حب الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، ونُصرة الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين.

والبراء: هو بُغض الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى وبغض الكفر بجميع ملله وأتباعه الكافرين.

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٤١١)، مختار الصحاح، للرازي (٣٠٦).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١/ ٣٣)، تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ١٩٣).

(٣) ينظر: الولاء والبراء في الإسلام، محمد قحطان (٢٨٠)، الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، حاتم الشريف ص (٣)، مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي الشحوذ ص (٦).

(٤) ينظر: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، حاتم الشريف (٣).

وهذا التعريف قُصد به الولاء عند الإنسان المؤمن، وأما العوالم الأخرى من نبات وحيوان وجماد فإن الله تعالى قد جعل لها أيضاً إدراكا به توالي، وتعادي، وتخشع، وتسبح، وتبكي وتتكلم كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان الله قد جعل في الجمادات شعوراً وإدراكا تسبح ربها به، وتسقط الحجارة من خشيته، وتسجد له الجبال، والشجر، وتسبحه الحصى، والمياه والنبات...»[1].

والولاء والبراء عند هذه المخلوقات يشمل الحب، والنصرة للمؤمنين والبغض والكره للكافرين والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك إذ إن الولاء والبراء بالنسبة للإنسان عمل مصدره القلب أولاً ثم الجوارح وتلك المخلوقات لا قلوب لها ولا جوارح حسب علمنا، والواجب علينا التسليم بكل ما ثبت في الكتاب والسنة سواء أدركته عقولنا أو لم تدركه.



---

(١) الروح لابن القيم ص (٧٣).

المسألة الأولى

حنين الجذع

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقوم يوم الجمعة إلى الشجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «إن شئتم». فَجَعَلُوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»[(١)].

وفي رواية أخرى لجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ العِشَارِ[(٢)] حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ»[(٣)].

وإنما حنّ الجذع لفقده للذكر، وهذا يدل على أن الجذع كان يأنس بذكر الله تعالى، ويحبه ويحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إذا حدث بحديث حنين الجذع يقول: «يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شوقاً إلى لقائه فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب برقم (٣٣٩١).

(٢) العشار: جمع عُشراء وهي الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها إلى أن تلد. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٥٧٢)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي (١/ ٥٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر حديث رقم (٨٧٦).

(٤) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٧٩٩)، الشريعة للآجري (٤/ ١٥٨٥).



المسألة الثانية

شهادة الشجر للمؤذن

عـن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصـاري عن أبيه وَكَانَ أَبُوهُ فِي حِجْرِ أَبِي سَـعِيدٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو سَـعِيدٍ: إِذَا كُنْتَ فِي الْبَوَادِي، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالْأَذَانِ، فَإِنِّي سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لا يَسْمَعُهُ جِنٌّ، وَلا إِنْسٌ، وَلا شَجَرٌ، وَلا حَجَرٌ، إِلا شَهِدَ لَهُ»[1].

وفي روايـة البخاري: «فَإِنَّهُ لَا يَسْـمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُـؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

قـال ابـن حجـر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولـه: «جِـنّ ولا إِنْسٌ ولا شـيء» ظاهره يشـمل الحيوانات والجمادات فهو من العام بعد الخاص»[3].

وقـال أيضـًا: «نقل عياض عن بعـض أهل العلـم أن اللفظ عـام والمراد به خاص، وأن الذي يشهد من تصح منه الشهادة...وقيل: إن ذلك خاص بالمؤمنين فأما الكفار فلا تقبل لهم شهادة»[4].

وفي الشهادة للمؤذن دليل على المحبة والنصرة لذلك وكانت الشهادة خاصة بالمؤمنين وبالشجر والحجر، والله أعلم.

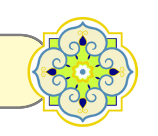
---

(١) أخرجه بن ماجه في سـننه برقم (٧٢٣)، وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة (١٨٦٥)، وأبو يعلى في مسنده برقم (٩٨٢)، وصححه الألباني. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء حديث رقم (٥٨٤).

(٣) فتح الباري (٢/ ٨٨).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٨٦).



المسألة الثالثة

تلبية الشجر مع المسلم

عن سـهل بن سعد السـاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ**[1] **حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَا هُنَا**»[2].

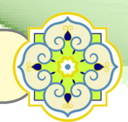
وفي التلبية مناصرة ومؤآزرة للمؤمنين ومحبة لذكر الله تعالى.

❊❊❊

---

(١) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل: الطين الذي لا رمل فيه. ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ١٦٢)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/ ٦٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الحج برقم (٨٢٨)،وبن ماجه في سننه كتاب المناسك برقم (٢٩٢١)، والبيهقي في السنن، كتاب الحج برقم (٨٨٠١)، والحاكم في المستدرك برقم (١٦٥٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وصححه الألباني ينظر: مشكاة المصابيح تحقيق الألباني برقم (٢٥٥٠).



المسألة الرابعة

موالاة الشجر للمؤمنين في آخر الزمان

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلا الْغَرْقَدَ[1]، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[2].

من سنن الله تعالى أنه يثبت الذين آمنوا، وينصر من نصر دينه:

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [سورة الحج: آية ٤٠]، وفي تكليم الشجر والحجر للمؤمنين أمر خارق للعادة كرامة وحافزًا من الله للمؤمنين على قتال اليهود، فعندما يشعر المؤمن أن الأشجار والأحجار في صفِّه تناصره على عدو مشترك بينهم فإن ذلك سيرفع همته، ويزيد يقينه بالله تعالى، فيكون النصر للمؤمنين والخزي والذل لليهود الظالمين.

***

(١) قال النووي الغرقد: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس. صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٤٥)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٩٢٢)، والبخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير برقم (٢٧٦٨).

المسألة الخامسة

موالاة شجر الغرقد لليهود

كل الأشـجار تقف في صف المؤمنين إلا شـجر الغرقد، وهو نوع من شـجر الشوك، معروف ببلاد المقدس، ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة: «بقيع الغرقد» لأنه كان فيه غرقد وقُطِعَ[1].

وقـد ذُكر الغرقد في الحديث السـابق، في المسـألة السـابقة وفيـه: «.. **فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلا الْغَرْقَد، فَإِنَّـهُ مِنْ شَـجَرِ الْيَهُـودِ**»[2]، فهو من شـجر اليهود لذلك فإنه لا يخبر المسـلم إذا اختبأ اليهودي خلفه، بخلاف سـائر الأشجار، وفي سكوت شجر الغرقد وموالاته لليهود دون غيره حكمة يعلمها الله تعالى، ونحن لا نعلمها، وواجبنا التسـليم لما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقـد اجتمع الولاء والبراء في هذا الحديث عند الأشـجار فسـائر الأشـجار توالي المؤمنين وتكلمهم، وتدلهم على مكان اختباء اليهود، مناصرة لهم في ذلك الزمان، إلاّ شـجر الغرقد؛ فإنه يوالي اليهود ويناصرهم، فلا يتكلم إذا اختبأ خلفه أحدهم.

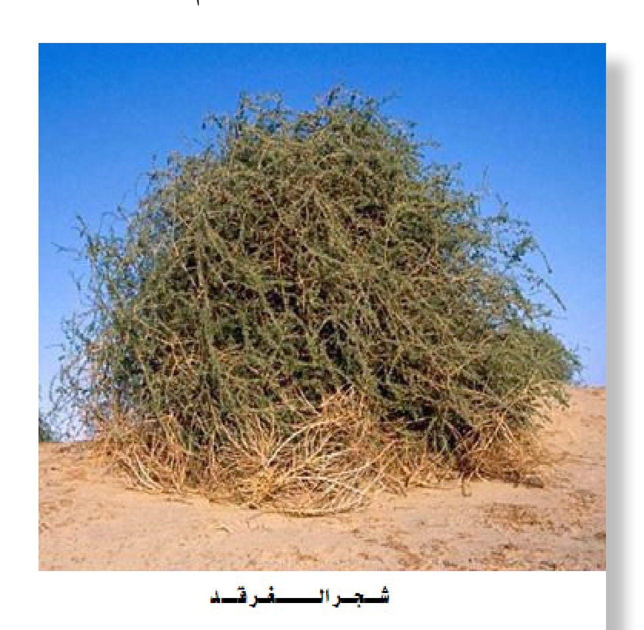
وفي نطق الشجر والحجر، ومخاطبتهم للمؤمنين تثبيت لقلوبهم وتأييدٌ لهم؛ لأنه قد يكون اليهود في ذلك الزمان أكثر عتادًا وسـلاحًا من المؤمنين، فيسخِّر الله

---

(١) ينظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٦٢)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٥٤)، صحيح مسـلم بشرح النووي (٧/ ٤١).

(٢) تقدم تخريجه. ينظر ص (١٥٨).

تعالى الشـجر والحجـر لنصرة المؤمنين بأمر خارق للعـادة وهو الكلام الذي لم يعهد الإنسان سماعه إلا من إنسان مثله، والله أعلم.

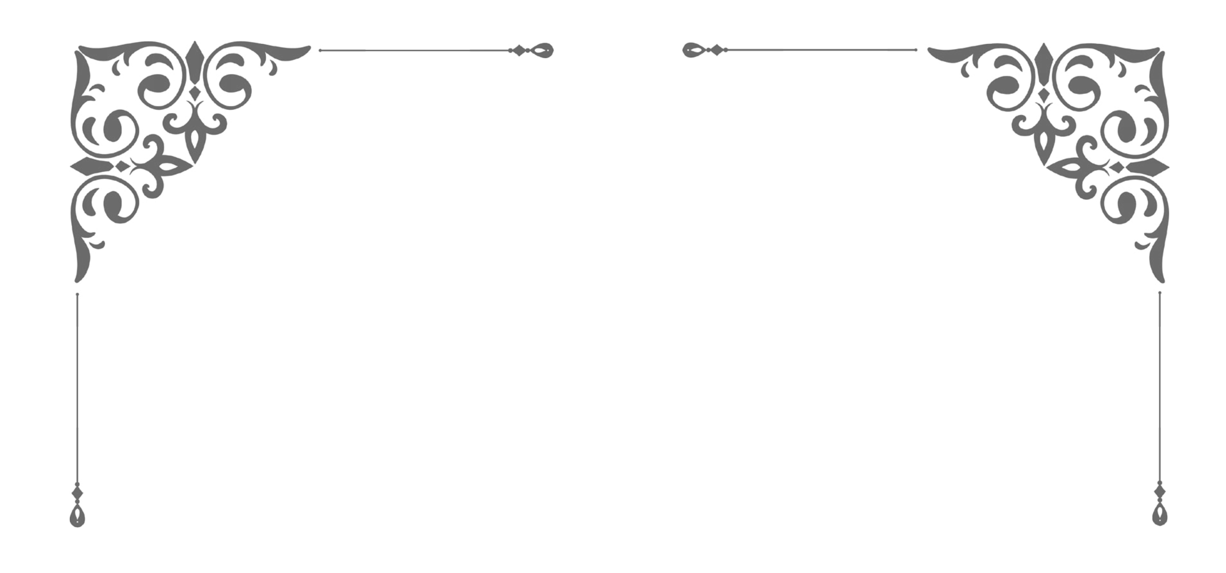


شـجـرالــــغـرقــد



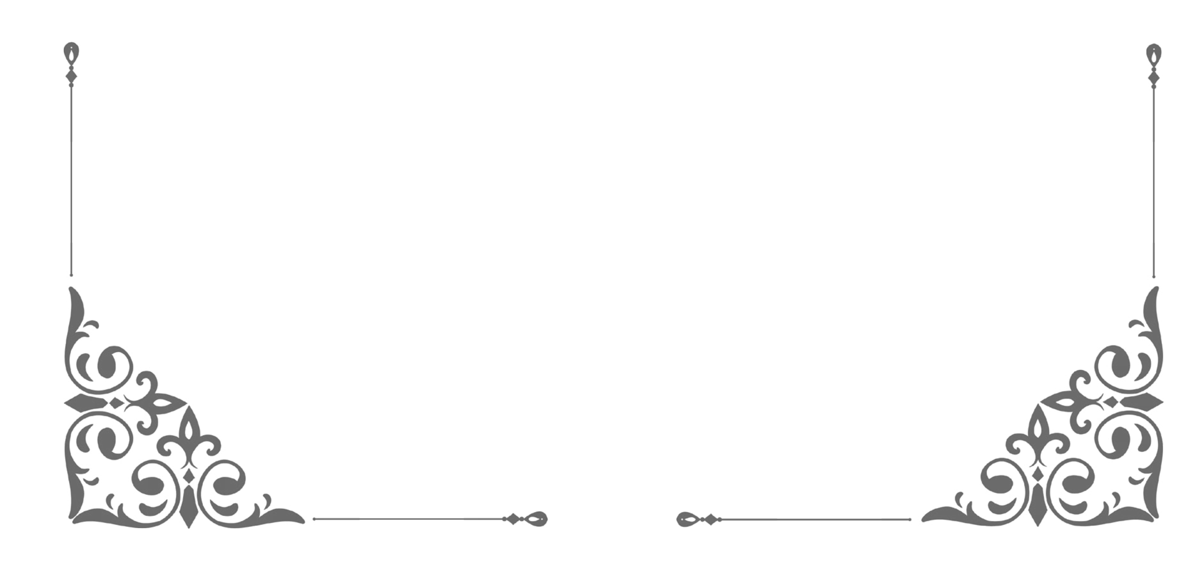
شجــــر الغــرقد

❋❋❋



المطلب الرابع

حكم تصوير النبات ونحته



المطلب الرابع

حكم تصوير النبات ونحته

تصوير الشجر ونحته له حالتان:

أ) تصوير الشجر تصويراً فوتوغرافياً أو رسمه باليد ونحته على غير ذات الأرواح:

وهذا النوع من التصوير جائز ولا بأس به ومن الأدلة على ذلك قول ابن عباس للرجل الذي أتاه فقال: يا أبا العباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول، سمعته يقول: «من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً» فربا[1] الرجل ربوة شديدة، واصفرَّ وجهه فقال: «ويحك، إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر كل شيء ليس فيه روح»[2].

ب) نحت الشجر على هيئة ذوات الأرواح:

وهذا النوع من التصوير محرم، فلا يجوز نحت شجرة على صورة ما له روح كالتماثيل والأصنام التي تكون على صورة الإنسان أو الحيوان؛ لأن من ذلك مضاهاة لخلق الله تعالى ومن الأدلة على تحريم ذلك:

١. عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَنْ أَظْلَمُ ممنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[3].

---

(١) أي: انتفخ من الغيظ، ينظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٩/ ٣٧٧)، فتح الباري لابن حجر (٤/ ٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح برقم (٢١٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة برقم (٢١١١).

٢. جَـاءَ رَجُلٌ إِلَى ابن عباس، فَقَـالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَـذِهِ الصُّوَرَ، فَأَفْتِنِي فِيهَـا، فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِـهِ، قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُـولُ: «**كُلُّ مُصَـوِّرٍ فِـي النَّارِ، يَجْعَـلُ لَهُ، بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا، نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**»[١].

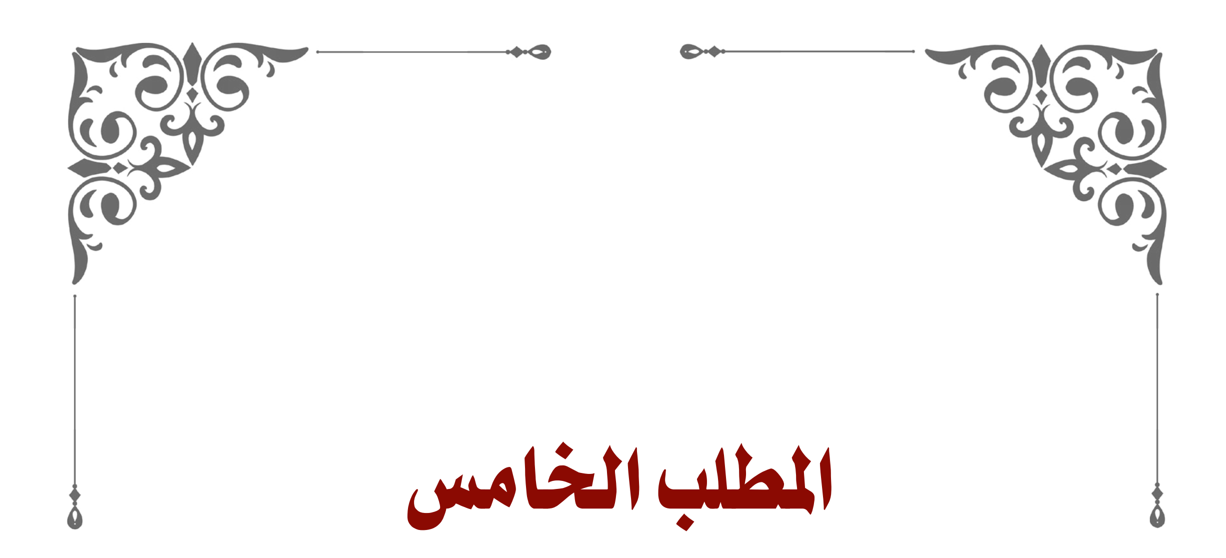
٣. عـن عبد الله بن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سـمعت رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ أشدَّ النَّاس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون**»[٢].

❋❋❋

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة برقم (٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب عذاب المصورين يوم القيامة، برقم (٥٦٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة برقم (٢١٠٩).



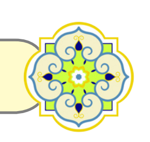
المطلب الخامس

التداوي بالنبات

وفيه ثلاث مسائل:

- **المسألة الأولى:** التداوي بالنبات الواردة في نصوص الشرع.
- **المسألة الثانية:** التداوي بسائر النبات.
- **المسألة الثالثه:** التداوي عن السحر والعين ببعض النبات، وحكم ذلك؟





المسألة الأولى

التداوي بالنبات الوارد في نصوص الشرع

قبل الحديث عن حكم التداوي بالنبات لا بد من الإشارة إلى إباحة التداوي مطلقًا، ومن العلماء من قال بوجوبه، وقيل: إنه مباح وتركه أفضل(١).

وأما التداوي بالنبات الوارد في نصوص الشرع فقد جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة في الحث على التداوي ببعض النباتات وثمارها ومن ذلك: العجوة، والحبة السوداء، والكمأة، والزيتون وزيته، والقسط الهندي، وغيرها وقد سبق بحث ذلك.

وكلُّ ما حث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التداوي به من النبات، فإنه يأخذ حكم الاستحباب لما في ذلك من الاقتداء بأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❊❊❊

(١) ينظر: فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن (٦٩)، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (٨٥)، إعانة المستفيد، للفوزان (٩٠)، صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٩٠)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٥٠١).

المسألة الثانية

التداوي بسائر النبات

لقد نوَّع الله تعالى النباتات على سطح الأرض وجعل سبحانه معظم الأدوية التي يتعالج بها الناس مصدرها النبات، إلا أنه يوجد بعض النباتات السامة الضارة بصحة الإنسان، فحكم التداوي بالنبات يختلف بحسب نوعية النبات.

فيباح التداوي بالنباتات التي ثبت بالتجربة أنها دواء، ويحرم التداوي بكل نبات ثبت أنه سام أو ضار بصحة الإنسان، كالأعشاب المسكرة؛ لضررها على العقل والدين، أو الضارة بالبدن أو النسل وما شابه ذلك[1].

ومن الأدلة على إباحة التداوي[2] قوله تعالى عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة النحل: آية ٦٩] وهو دليل على جواز شرب الدواء.

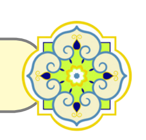
وعن أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلا دَاءً وَاحِدًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الْهَرَمُ»[3].

❊❊❊

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٥/ ٣٥).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٣٨).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (٧٥٥٤)، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٨٦)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٤٢٧) وقال: (صحيح الإسناد)، والترمذي في سننه برقم (٢٠٣٨)، وقال: (حسن صحيح)، وصححه المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ١٦٩).



المسألة الثالثة

التداوي عن السحر والعين ببعض النبات، وحكم ذلك؟

التـداوي عـن السـحر بتمر العجـوة ثابت في السـنة النبوية وقـد تقدم بحث ذلك[1].

وأما ما عدا العجوة من النباتات الأخرى فلم أجد دليلاً صحيحاً يحثُّ على نبات معين للاستشـفاء به من السـحر، و العين، وقد ذكر بعض العلماء أنه يؤخذ سـبع ورقات من سـدر فتدق ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسـي ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ثم يغتسل بباقيه فإنه يُذهب ما به بإذن الله.

وهذا القول منسوب لوهب بن منبه[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].

وكان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصي بمثل هذا الفعل[4].

وقد سـئلت اللجنـة الدائمة عن التداوي بالتبخر بالشَّـبْ، أو الأعشـاب، أو الأوراق من الإصابة بالعين؟

---

(١) ينظر: ص (١٥١).

(٢) أبـو عبـد الله وهب بن منبه بن كامل الذماري من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسـرى إلى اليمن، تابعي يروي عن جابر بن عبد الله وبن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، كان عابداً فاضلاً قال عنه أبو زرعة: يماني ثقة توفي سنة ١١٤هـ، وهو بن ٨٠سنة. ينظر ترجمته في: الأنساب للسمعاني (٣/ ١١)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ١٥٠).

(٣) ذكره ابن بطال في شـرحه لصحيح البخاري (٩/ ٤٤٦)، والقرطبي في تفسـيره (٢/ ٤٩)، وابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٩)، وابن باز في فتاويه (٦/ ٢٨٨)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٣٣٣)، والشنقيطي في أضواء البيان (٤/ ٥٧).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢٨٨).



وكان الجواب: «لا يجوز علاج الإصابة بالعين بما ذكر؛ لأنها ليست من الأسباب؟ لعلاجها، وقد يكون المقصود بهذا التبخر استرضاء شياطين الجن والاستعانة بهم على الشفاء، وإنما يعالج ذلك بالرقي الشرعية ونحوها مما ثبت في الأحاديث الصحيحة»[1].

والصحيح أن التداوي عن السحر، والعين يكون بما ورد في الكتاب، والسنة من الأدوية الإلهية، من الدعاء، والذكر، وتلاوة القرآن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار، والآيات، والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها... فالقلب إذا كان ممتلئا من الله مغمورا بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه»[2].

ولكن المصاب بالسحر قد يصعب عليه تلاوة القرآن، والمحافظة على الأذكار من شدة السحر، وبعضهم قد لا يستطيع الوقوف في الصف، ولا سماع التلاوة، ومثل هؤلاء يحتاجون إلى رقية غيرهم لهم، وربما احتاجوا لبعض الأعشاب التي تساعد في التخلص من الجن، إما لرائحتها التي لا تطيقها الجن فإن كفرتهم لا يحبون الروائح الزكية، ولذلك يكثر تواجدهم في القمائم، والحمامات،

---

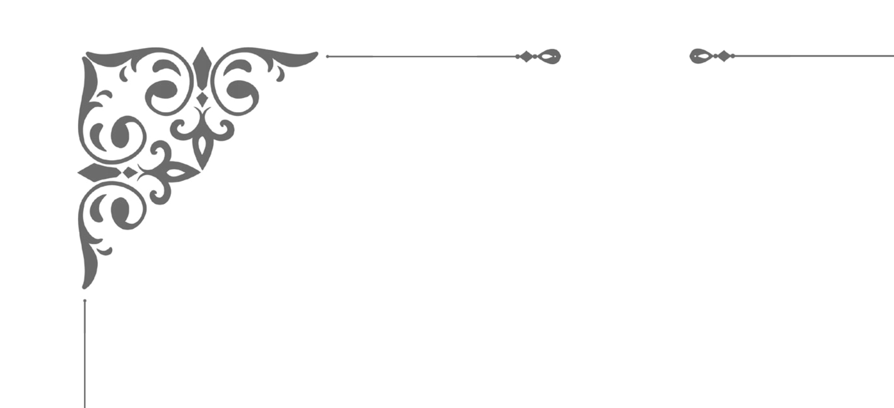
(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٧٥).

(٢) الطب النبوي ص (٩٥).

فما المانع من اســتخدام ما هو مجرب عند القراء الثقات من طلبة العلم، من غير أن يكون في ذلك استرضاء للشياطين، أو طلب الشفاء منهم.

فالأمـر والعلـم عند الله راجع إلى نية المريض باسـتخدامه لتلك الأعشـاب والله أعلم.







المطلب السادس

العقائد الخاطئة المتعلقة بالنبات

وفيه خمس مسائل:

- **المسائل الأولى:** عبادة البشر للنبات.
- **المسألة الثانية:** التبرك غير المشروع بالنبات.
- **المسألة الثالثة:** التطيُّر من النبات.
- **المسألة الرابعة:** وضع الزهور على القبور.
- **المسألة الخامسة:** الاعتقاد ببعض الزهور لألوانها.



المسألة الأولى

عبادة البشر للنبات

إن الله عَزَّوَجَلَّ هو المعبود الحق وهو إله الأولين، والآخرين، وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

* قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [سورة النساء: آية ٣٦].
* وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة النجم: آية ٦٢].
* وقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٦٣].

وقد وقع الشرك في الأمة بعد أن كانت على فطرة التوحيد قرونًا عديدة فتنوعت المعبودات، وتشعبت، ومن أبرزها:

الأصنام، والأوثان، والأولياء، والصالحين، والملائكة، والأشجار، والكواكب، والنجوم، والنيران وغيرها.

وحديثنا يختص بعبادة الأشجار، وعبادة الأشجار قديمة عند البشر وقد تحدث القرآن الكريم عن أشهر أصنام البشر، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة النجم: آية ١٩-٢٠].

والعزى: شجر من السُمر قد بني حولها، وجعل لها أستار، وتقع بنخلة بين مكة والطائف، وكانت قريش تخصها بالزيارة والهدية.

وقيل: هي حجر أبيض، وقيل: بيت بالطائف[1] لثقيف، والقول بأنها شجرة

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٥)، زاد المسير، لابن الجوزي (٨/ ٧٢)، تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥)، الأصنام للكلبي (٢٥)، تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ (١٤٢)، تحقيق التوحيد، للعجيلي (١/ ١٣٧)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (٨/ ٩٩).

هـو الأشـهر لحديث أبي الطفيـل[1] قال: «لما فتح رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزّى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سـمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخـبره، فقـال: «**ارجع فإنك لم تصنع شـيئًا**»، فرجع، فلما أبصرته السـدنة وهم حجبتهـا أمعنـوا في الجبل وهـم يقولون: يا عـزّى، فأتاها خالد فإذا امـرأة عريانة ناشرة شـعرها تحفن[2] التراب على رأسـها، فعمّها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فقال: «**تلك العزّى**»[3].

والشـرك بالله، وعبادة الأصنام والأشـجار تنتهي إذا جـاءت دعوة التوحيد، وإذا قصَّر المسـلمون في نشـر عقيدة التوحيد فإن مظاهر الشرك تعود مرة أخرى، وقد كان الشرك بالله، وعبادة الأشجار، والقبور قد عادت إلى جزيرة العرب حتى سـخّر الله تعالى للأمة شـيخ الإسـلام محمد بن عبد الوهـاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فدعا إلى التوحيد ونبذ الشرك بجميع مظاهره.

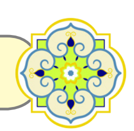
قـال صاحـب فتـح المجيد الشـيخ عبـد الرحمن بن حسـن بـن محمد بن عبدالوهـاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فـإن هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في مبدأ منشـئه قد شـرح الله صدره

---

(١) عامـر بن واثلة الليثي الكناني، آخر من رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعد من صغار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان مـن شـيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، توفي بمكة سـنة مائة أو نحوها. ينظـر: ترجمته في: تاريخ الإسـلام، للذهبي (٦/ ٥٢٦)، البداية والنهاية، لابن كثير (٩/ ١٩٠).

(٢) الحفـن: أخذك الشـيء براحة كفك والأصابع مضمومة، وحفنت الشـيء إذا جرفتـه بكلتا يديك، ولا يكون إلا من الشيء اليابس كالدقيق والتراب ونحوهما. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ١٢٥)، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة (٣/ ٣٨٣).

(٣) أخرجه النسـائي في الكبرى برقم (١١٥٦٧)، وأبو يعلى في مسـنده برقم (٩٠٢)، وأبو نعيم في الدلائل برقـم (٤٦٣)، والبيهقي في دلائل النبـوة (٥/ ٧٧). قال الهيثمي: «وفيه يحيى بن المنذر وهو ضعيف» مجمع الزوائد (٦/ ١٦٧).



للحق المبين الذي بعث الله به المرسـلين: من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالميـن، وإنكار ما كان عليه الكثير من شـرك المشـركين، فأعلى الله همَّته وقوى عزيمته، وتصدَّى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد الذي هو أسـاس الإسلام، والإيمـان، ونهاهـم عـن عبـادة الأشـجار، والأحجـار، والقبـور، والطواغيت، والأوثان»[١].



(١) فتح المجيد ص (٣).

المسألة الثانية

التبرك غير المشروع بالنبات

يُنقسم التبرك[1] إلى قسمين[2]:

أ- تبرك مشروع.

ب- تبرك ممنوع.

وقد تقدم الحديث عن التبرك المشروع بالنبات[3].

وأما التبرك الممنوع أو الغير مشروع فهو: التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به معتقداً أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه[4].

ومن الأمثلة على التبرك غير المشروع بالنبات[5]:

١. أن يتبرك ببعض الأشجار التي يُظنُّ أن لها فضلاً، إما لظنه أن نبيًا، أو وليًا وقف عندها، أو استظل بظلها، أو نام تحتها.

٢. أن يرى أحدهم رؤيا إن هذه الشجرة مباركة فيعتقد ذلك ويتبرك بها.

---

(١) تقدم التعريف به، ينظر: ص (١٤٧).

(٢) ينظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، لابن جبرين ص (٢٩٨)، التبرك المشروع والتبرك الممنوع، للعلياني (١٥-٢٢)، القول المفيد، لابن عثيمين ص (١٩٤)، عقيدة المسلم د. سعيد القحطاني (٢/ ٧٥٥).

(٣) ينظر: ص (١٤٧-١٧٤).

(٤) ينظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، لابن جبرين ص (٢٨٩).

(٥) ينظر: إعانة المستفيد، للفوزان ص (١٥٨)، التوضيح عن توحيد الخلاق سليمان آل الشيخ ص (٢٧٣).

٣. تعليق الخرق، والثياب، والمسامير، ونحوها على الأشجار طلباً للبركة.

٤. أن تنبت شجرة في مكان غير معتاد أن تنبت بمثله، أو تكون على صورة وهيئة مخالفة لمثيلاتها؛ فيُعتقد أن فيها بركة ويُتبرك بها.

حكم هذا النوع من التبرك:

يحرم التبرك بمثل هذه الأشياء؛ لما يلي[١]:

١. لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من الكتاب، والسنة.

٢. لأنه جعل ما ليس بسببٍ سبباً.

٣. لأنه قد يؤدي إلى عبادتها.

والتبرك بالأشجار من أنواع الشرك بالله تعالى؛ لحديث أبي واقد الليثي[٢] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَل حُنين، ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون[٣] بها أسلحتهم، وأمتعتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أَنْوَاطٍ كما لهم ذات أَنْوَاطٍ، فقال: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ

---

(١) ينظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، لابن جبرين ص (٢٩٠)، فتح المجيد عبد الرحمن آل الشيخ ص (١٣٣)، القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي ص (٤٩)، حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص (٩٠).

(٢) اسمه الحارث بن مالك، وقيل الحارث بن عوف، وقيل عوف بن الحارث، أسلم قديماً وكان يحمل لواء بني ليث، وضمرة، وسعد بن بكر يوم الفتح، وبعثه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أراد الخروج إلى تبوك يستنفر بني ليث، عاش في مكة وتوفي بها سنة ٦٨هـ وعمره ٨٥ عاماً. ينظر في ترجمته: المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٧١)، الوافي بالوفيات للصفدي (١١/ ١٨٨).

(٣) أي: يعلقونها عليها للبركة، ينظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله ص (١٤٦)، حقيقة السنة والبدعة للسيوطي ص (١٠٦)، القول المفيد على كتاب التوحيد للعثيمين (١/ ٢١٠).

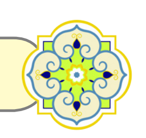
ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٣٨]، ثم قال: «إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم»(١).

فعندما طلب حدثاء العهد بالإسلام من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون، أنكر عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، وشبه طلبهم بطلب بني إسرائيل من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعل لهم آلهة؛ تقليداً لمشركي زمانهم، وهذا شرك بالله، وما طلبه بعض الصحابة هو من قبيل الشرك بالله تعالى(٢).

❋❋❋

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن برقم (٢١٨٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١١٨٥)، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٧٠٢)، وأحمد في المسند برقم (١٩٤٧)، وصحّحه الألباني، ينظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي حديث رقم (٢١٨٠).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد سليمان بن عبدالله آل الشيخ ص (١٤٩)، فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص (١٣٩)، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص (٩٤).



المسألة الثالثة

التطير من النبات

تعريف الطيرة في اللغة، والاصطلاح:

أصل التطير[1]:

التشاؤم، يقال تطيرت من الشيء، وبالشيء إذا تشاءمت به، وأضيف إلى الطير؛ لأن غالب التشاؤم عند العرب بالطير فَعَلِقَت به.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرةً تشاءم به ورجع»[2].

والطيرة في الشرع:

هي التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع، وغيرها[3].

وقيل هي: التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو زمان، أو مكان[4].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٥٢١)، تاج العروس للزبيدي (١٢/ ٤٥٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٢).

(٣) ينظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص (١٠٥)، تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد للعجيلي (٢/ ٣٠٣)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صالح الفوزان ص (١٠٣)، الجديد في شرح كتاب التوحيد للقرعاوي ص (٢٥٧).

(٤) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ١٠٣)، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص (٢١٢)، تسهيل العقيدة الإسلامية لابن جبرين ص (٣٨٧).



حكم التطير:

وردت النصوص الشرعية بالنهي عن التطير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة الأعراف: آية ١٣١]، فأخبر سبحانه عن المشركين أنهم كانوا يتطيرون من المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة النمل: آية ٤٧].

وأما الأدلة من السنة فمنها:

١. عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «الطيرة شرك...»[(١)] الحديث.

٢. عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لا عدوى ولا طيرة...»[(٢)] الحديث.

■ فالطيرة هي نوع من أنواع الشرك الأصغر:

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ: «واعلم أن التطير ينافي التوحيد ووجه منافاته له من وجهين:

* **الأول:** أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٣٩١٠)، وابن ماجه في سننه برقم (٣٥٣٨)، والترمذي في سننه برقم (١٦١٤) وقال: « هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الإثمد والكحل من الرمد، برقم (٥٣٨٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلامة برقم (٢٢٢٠).

❊ **الثاني:** أنه تعلق بأمر لا حقيقة له»[١].

بعض الأمثلة على التطير:

١. **التطير من الطيور:** كطائر البومة أو الغراب.

٢. **التطير من الأشهر:** كشهر صفر.

٣. **التطير من الأعداد:** كرقم ١٣.

٤. **التطير من الأشجار:** وهذا النوع من التطير قليل، ولكنه موجود، ومن ذلك:

أ) تطير بعض العامة من شجرة العوسج لاعتقادهم أنها مسكن للجن، فيخافون من الاقتراب منها.

وقد كان بعض الناس قديماً كما ذكر صاحب الجامع لمفردات الأدوية يعتقدون أن أغصان العوسج تبطل السحر إذا علقت على الأبواب، حيث يقول: «وقد زعم قوم أن أغصانه – أي العوسج – إذا علقت على الأبواب أبطلت السحر»[٢].

فبعض الناس في السابق يعلّقون أغصان العوسج لإبطال السحر، واليوم من الناس من يخاف من الشجرة نفسها !!، ولو علّق المؤمن قلبه بالله تعالى لما خاف من شجرة ولا من غيرها، فالإيمان بالله تعالى هو طريق الأمان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٢].

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد للعثيمين (١/ ٥٥٩-٥٦٠).

(٢) الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار (٣/ ١٩٣).



ب) التطير من شجر العُشَر:

حيث كان لدى بعض سـكان منطقة الجزيرة العربية اعتقاد بأن هذه الشـجرة مسـكن للجن، ويسمونها «شـجرة الجن»، فيخشـون المرور بجانبها، ويحذرون من الاقتراب منها.



المسألة الرابعة

وضع الزهور على القبور

سأنقل في هذه المسألة جواب اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية عندما سئلت عن ذلك فكان الجواب: «وضع الزهور على قبور الشهداء أو قبور غيرهم أو عمل قبر الجندي المعلوم أو المجهول من البدع التي أحدثها بعض المسلمين في الدول التي اشتدَّت صلتها بالدول الكافرة استحساناً لما لدى الكفار من صنيعهم مع موتاهم، وهذا ممنوع شرعاً لما فيه من التشبه بالكفار وأتباعهم فيما ابتدعوه لأنفسهم في تعظيم موتاهم، وقد حذّر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من ذلك بقوله: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِل الذُّل والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم» رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير، وبقوله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً فشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه» رواه الحاكم وقال: «على شرط مسلم»، وأقره الذهبي، ورواه أيضاً البزار، قال الهيثمي: «رجاله ثقات»، وقد كان من الصحابة والتابعين وسائر السلف رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ شهداء، وجنود لهم وجاهتهم، وآخرون مغمورون، ولم يعرف لديهم وضع شيء من الزهور عليها، فكان وضعها على القبور بدعة محدثة، والخير كل الخير في اتباع سلف هذه الأمة، والشر في ابتداع من خلفه»[1].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ٨٩).

وقال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ازداد العامَّة أصلاً على هذا العمل الذي لا أصل له وغلوا فيه، خصوصاً في بلاد مصر تقليداً للنصارى، حتى صاروا يضعون الزهور على القبور، ويتهادونها بينهم فيضعها الناس على قبور أقاربهم، ومعارفهم تحية لهم ومجاملة للأحياء، وحتى صارت عادة شبيهة بالرسمية في المجالات الدولية إلى قبور عظمائها أو إلى قبر من يسمونه «الجندي المجهول» ووضعوا عليها الزهور وبعضهم يضع الزهور الصناعية التي لا نداوة فيها تقليداً للإفرنج واتباعاً لسنن من قبلهم... وكل هذه بدع، ومنكرات لا أصل لها في الدين، ولا سند لها من الكتاب، والسنة. ويجب على أهل العلم أن ينكروها وأن يبطلوا هذه العادات ما استطاعوا»(١).

إذاً فوضع الزهور على القبور تقليداً للغرب بدعة في دين الله وتدخل في التشبُّه بالكفار، أمَّا وضع الأغصان على القبور اعتقاداً بسنِّيَّة ذلك، فهذه مسألة أخرى سيتم بحثها في المطلب الحادي عشر بإذن الله تعالى.



---

(١) تعليق الشيخ أحمد شاكر على سنن الترمذي (١/ ١٠٣).

المسألة الخامسة

الاعتقاد ببعض الزهور لألوانها

لقـد ظهـر التأثـر بالزهـور، وألوانهـا عند بعـض المسـلمين تقليـداً لما هو غربـي، فيعتقـدون بأن هـذا اللـون من الزهـور يجلـب الحب، والآخـر يجلب الحـزن، فيتفاءلون ببعضها، ويتطيرون من بعضهـا الآخر، ومن الأمثلة على تلك الاعتقادات، والمزاعم:

١. أن الوردة الحمراء تجلب الحب.

٢. أن الوردة الصفراء تجلب السعادة.

٣. أن الوردة البيضاء تمثل النقاء.

٤. أن الوردة الزرقاء تمثل الوفاء.

٥. أن الوردة السوداء تمثل الحزن؛ لذلك تقدم لأهل الميت عند التعزية.

وقد انتشـرت محلات بيع الورود والزهور في المستشـفيات لتقدِّم للمرضى حال زيارتهم، وسـأنقل فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية عـن حكم اصطحاب باقات الزهـور للمرضى: «ليس من هدي المسـلمين على مرِّ القـرون إهداء الزهور الطبيعيـة، أو المصنوعة للمرضى في المستشـفيات، أو غيرها، وإنَّما هذه عادة وافدة من بلاد الكفر نقلها بعض المتأثرين بهم من ضعفاء الإيمـان، والحقيقـة أنَّ هذه الزُّهـور لا تنفع المزور، بل هي محض تقليد وتشـبَّه بالكفار لا غير، وفيها أيضـاً إنفاق للمال في غير مستحقِّه، وخشية مما تجر إليه من الاعتقاد الفاسد بهذه الزهور من أنها من أسباب الشفاء؛ وبناءً على ذلك فلا يجوز

التعامل بالزُّهور على الوجه المذكور بيعـًا، أو شراءً، أو إهداءً»[1].

ولا بد من الإشارة إلى أن الكثير من الناس عندما يأتي بهذه الزهور للمريض لا يعتقد أنها تشـفي من دون الله، ولكنَّهم يقلِّدون غيرهم، وتقليد غير المسـلمين والتشبُّه بهم في مثل ذلك الأمر لا يجوز، والله أعلم.

❊❊❊

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١١/ ٦٥).

المطلب السابع

حكم وضع غصن الشجرة على القبر

اختلف العلماء في حكم وضع الجريد أو أغصان الشجر على القبر على قولين:

القول الأول: أنه سنة، ومستحب.

وقال به الشافعية[1]، وبعض الحنابلة[2].

■ الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١. اتباع فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه مر بقبرين يعذبان، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[3].

---

(١) ينظر: إعانة الطالبين للدمياطي (٢/ ١١٩)، تحفة المحتاج للهيتمي (٣/ ١٩٧)، فتح المعين للمليباري (٢/ ١١٩).

(٢) ينظر: الفروع لابن مفلح (٢/ ٢٣٨)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/ ٣٨٥)، مطالب أولي النهى للرحيباني (١/ ٩٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول برقم (٢١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة برقم (٢٩٢).

٢. قالـوا إنه يخفف عن الميت ببركة تسـبيح الجريدتين ما لم تيبسـا، وهو أكمل من تسبيح اليابسة؛ لما في تلك الجريدتين من نوع حياة[١].

٣. لوصيـة الصحابي بريـدة بن الحصيب الأسـلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأن يجعل في قـبره جريدتان[٢]. قـال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: «ففيـه أنه تبرك بِفِعـلٍ مِثْل فِعْلِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[٣].

۞ القول الثاني: إنَّ وضع الجريد على القبر من خصوصيات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

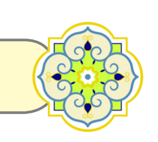
وقـال به الكثير مـن المحققين من أهل العلم، منهـم الخطابي[٤]، والقاضي عيـاض[٥]، والعظيم آبادي[٦]، وأحمد شـاكر[٧]، والألبـاني[٨]، وابن باز[٩]، وابن عثيمين[١٠] وغيرهم.

■ وقد استدلوا بأدلة منها:

١. حديـث جابـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الطويـل، وقد أمـره النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يضع غصنين من شـجرتين عن يمينه وعن شماله، ففعل ذلك جابر رضي الله

---

(١) ينظر: تحفة المحتاج للهيتي (٣/ ١٩٧)، شرح السيوطي لسنن النسائي (٧/ ٨).
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٨)، وعلقه البخاري مجزومـًا (١/ ٤٥٧).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٢٠٢).
(٤) ينظر: معالم السنن للخطابي (١/ ١٩).
(٥) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ١٠٢).
(٦) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي (١/ ٢٥).
(٧) ينظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر على سنن الترمذي (١/ ١٠٣).
(٨) ينظر: أحكام الجنائز للألباني (٢٠٠-٢٠٣).
(٩) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٨٠).
(١٠) ينظر: الشرح الممتع لابن عثيمين (١٣/ ١١٨).



تعالى عنه، وقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَعَمّ ذاك؟ قال: «إني مررت بقبرين يعذبان، فأحببت بشفاعتي أن يُرفّه عنهما ما دام الغصنان رطبين»**[(١)].

وفي هذا الحديث تصريح بأن رفع العذاب إنما هو بسبب شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعائه، لا بسبب النداوة، ومن العلماء من رجح أن قصة جابر هذه هي عين قصة ابن عباس المتقدمة في استدلال أصحاب القول الأول كما ذكر العيني[(٢)]، وقد رجح الحافظ ابن حجر أن القصتين مختلفتان، وعلى كلا القولين فإن النظر الصحيح يقتضي أن تكون العلة واحدة في القضيتين للتشابه الموجود بينهما[(٣)].

٢. أنه لم يجر العمل بوضع الغصنين على القبور عند السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى؛ لعلمهم أن ذلك من خصوصيات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعلمهم أن نداوة الغصنين ليست مقصودة لذاتها، قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما غرسه شق العسيب على القبر، وقوله: «ولعله يخفف عنهما ما لم ييبسا، فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعائه بالتخفيف عنهما، وكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل مدة بقاء النداوة فيهما حدًّا كما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس، والعامة في كثير من البلدان تفرش الخوص في قبور موتاهم، وأراهم ذهبوا إلى هذا، وليس لما تعاطوه من ذلك وجه. والله أعلم»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق برقم (٣٠١٢).

(٢) ينظر: عمدة القاري (٣/ ١٢٠).

(٣) ينظر: فتح الباري (١/ ٣١٩).

(٤) معالم السنن (١/ ١٩).

٣. أن الاطلاع على حال الميت أمر غيبي علمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوحي، أما نحن فلا نعلم شيئًا حتى نضع الجريدتين على القبر.

٤. أننا إذا فعلنا ذلك فقد أسأنا إلى الميت؛ لأننا نظن به سوءاً أن يعذب وقد يكون منعَّمًا.

٥. أنه مخالف لهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه لم يكن يفعل ذلك في كل قبر.

٦. أن ما ذُكر من أن سبب تأثير النداوة في التخفيف كونها تسبح الله تعالى حال رطوبتها فإذا يبست الجريدتين انقطع التسبيح قول ضعيف، ومخالف لعموم قول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [سورة الإسراء: آية ٤٤].

٧. أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دلنا على ما هو خير من ذلك، ألا وهو الدعاء للميت بعد الفراغ من دفنه والاستغفار له[(١)].

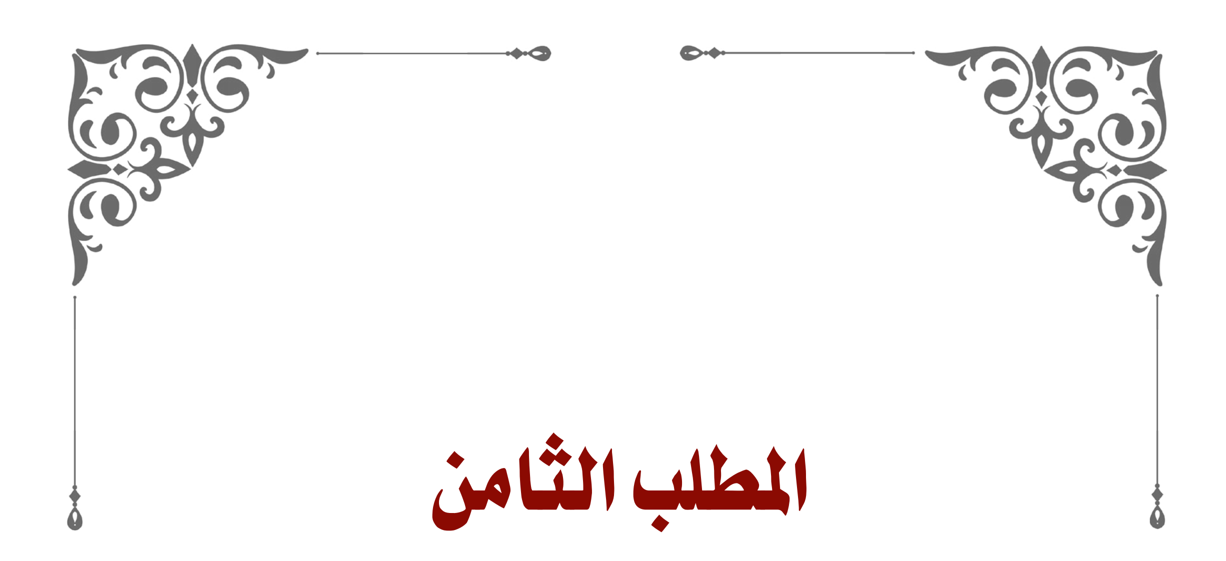
■ **والراجح هو القول بخصوصية ذلك الأمر بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

١. لحديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلة من وضع الغصنين بقوله: «**فأحببت بشفاعتي أن يرفَّه عنهما ما دام الغصنان رطبين**».

٢. ولأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعل ذلك في كل قبر، وقد كان الصحابة يموتون في زمنه، ويدفنون في بقيع الغرقد، ولم ينقل لنا الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أنه كان يفعل ذلك.

❋❋❋

(١) ينظر: الشرح الممتع لابن عثيمين (٣/ ١٨١)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٤٤٨).



المطلب الثامن

علاقة الجان بالنبات

وفيه ثلاثة مسائل :

- **المسألة الأولى :** التفاف الجانّ حول الأشجار.
- **المسألة الثانية :** ما ذكر من الأشجار التي يكرهها الجان.
- **المسألة الثالثة :** ما ذكر من الأشجار التي يحبها الجانُّ، وتجلبه إليها.



المسألة الأولى

التفاف الجانّ حول الأشجار

۞ هناك أماكن يكثر تجمع الجن والشياطين فيها، ومنها:

■ الحشوش:

وهي المراحيض، المزابل، القمامات، المقابر، الأماكن المهجورة، الصحاري، الشقوق والحجور، والبياض المتخلل بين الزرع، وأماكن تجمع المياه، والأسواق[(١)].

أما الأشجار فإنهم يجلسون تحتها، وفي الشقوق التي تتخلل الأشجار، أما تلبسهم بالشجرة كما هو الحال بالنسبة للإنس، فإنهم لا يفعلون ذلك، وقد سألت بعض المتخصصين في الرقية الشرعية[(٢)]، فذكر أنهم لا يفعلون ذلك، بل يبقون في شقوق الشجر، وربما يتدلّون مع أغصانها أو يجلسون تحت ظلها، والله أعلم.

ومما يدل على أن الجن قد تمكث في الأشجار قصة خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدم صنم العزّى، وقد خرجت جنّيّة من تلك الشجرة، وقتلها خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سبق ذكر القصة[(٣)].

وخروج الجن من الأشجار ذكرته بعض الكتب[(٤)]، ولا يوجد ما ينافي أن الجن قد تسكن وتمكث في بعض الأشجار، والله أعلم.

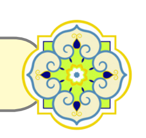
---

(١) ينظر: آكام المرجان في أحكام الجان، للشبلي (٤٧)، عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر (٢٢)، الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، للشحود (٧٧).

(٢) كالشيخ عبدالله السدحان حفظه الله.

(٣) ينظر: ص (٢٣٥).

(٤) ينظر: آكام المرجان للشبلي (١٢٦)، التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٤٥٣).




المسألة الثانية

ما ذكر من الأشجار التي يكرهها الجانُّ

لـم يرد دليل صحيح -حسـب علمـي- يدل علـى أن الجِنّ تكـره نوعـًا من الأشجار، أو النبات، ولكنَّ التجربة لها دورها في هذا الباب.

وقد شاع عند العامة وجود أنواع من النبات يكرهه الجان، ومن تلك النباتات على سبيل المثال:

١. السَّذَاب، أو الشَّذَاب.

٢. الحِلْتِيت.

٣. السدر.

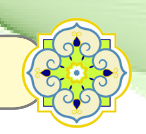
٤. القسط الهندي.

٥. الأُتْرَج.

٦. الريحان، وجميع الأشجار العطرية.


السـذاب


الحلتيت



وقد ذكروا الكثير غير ما ذُكر، وبحسب كلام المختصين في الرقى الشرعية، فإن الجن تكره الروائح النفاثة كالسَّذاب والحلتيت؛ وذلك لأن أجسامهم لطيفة ومشاعرهم حساسة، فهم أشد حساسية وتأثراً من البشر.

۞ والأمور القائمة على التجربة لها شرطان:

١. أن تعرض على العلماء.

٢. أن لا يكون فيها شرك.

لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»[١].

وقد سئل الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ عن حكم استخدام الحلتيت، واللبان المرِّ في العلاج والتبخر بها، فقال: «لا بأس باستخدام الحلتيت، واللبان في العلاج، فهما معروفان يستخرجان من شجر معروف، وقد جُرِّبَ كل منهما في العلاج، وذكرهما أهل المعرفة وشرحوا ما فيهما من الفوائد، سواءً استعملا أكلاً، أو شماً، أو بخوراً، أو خلطاً مع غيرهما، فأما طردهما للشياطين والجن فلا أعلم شيئًا من ذلك، لكن اشتهر أن الممسوس لا يحب الدخان، وأن كثيراً من المعالجين للمصاب بالمس يبخرون بالكبريت الأبيض، فيتأذى الجانُّ ويخرج وقد يموت، فهو من الأدوية المجربة، فكذا ما أشبهه من اللبان المرِّ، والحلتيت، ونحوهما، والله أعلم»[٢].

❊❊❊

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، برقم (٢٢٠٠).

(٢) موقع فتاوى الشيخ ابن جبرين، فتوى رقم (٤٥٨٠).

المسألة الثالثة

ما ذكر من الأشجار التي يحبها الجان وتجلبهم

جيمع ما قيل في النباتات التي يكرهها الجان ينطبق على النباتات والأشجار التي يحبونها، والقاعدة واحدة وهي أنهم حسب التجربة يتأثرون من الروائح النَّفَّاثة، وكافرهم يأنس بالروائح الخبيثة، والقذرة؛ لذلك يسكنون في الزبائل، والمراحيض وغيرها.

ومن الأشجار والنباتات التي ذُكر أنهم يحبونها:

٣. العود الجاوني أو الجاوي.

٤. السَّمر.

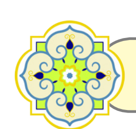
٥. الطلح.

٦. العُوْسَج.

٧. العِشر.

٨. الأثل.

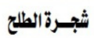
وغير ذلك والله أعلم.






شجـــرة الــبـــســمـر





شجـــرة الطلح



الــعــوســـــــج



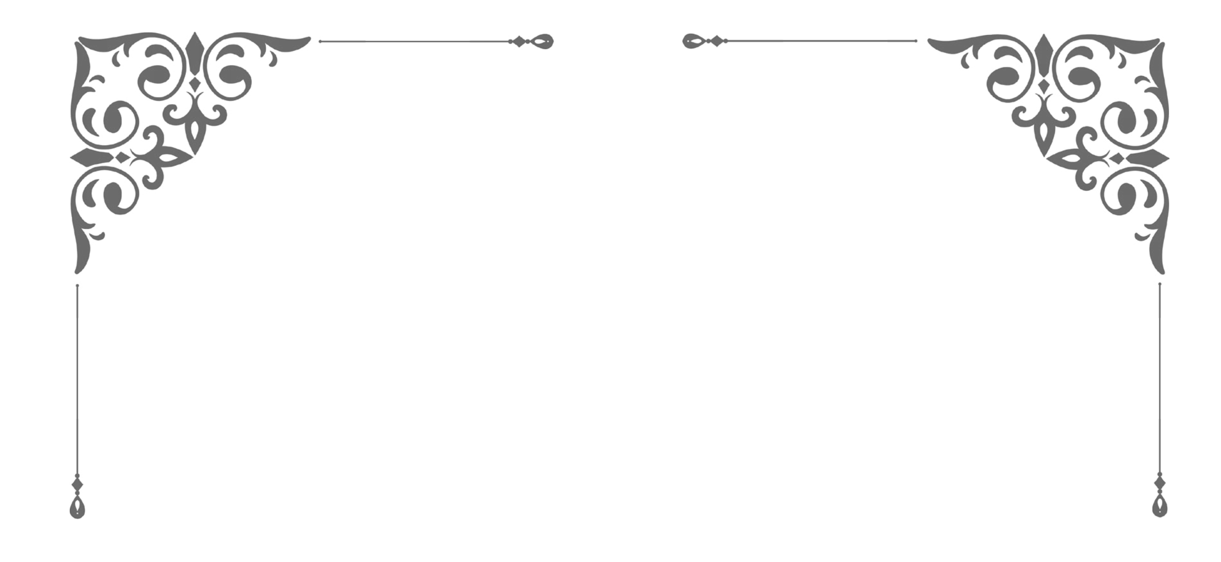
الــعــودالــجــاونــي



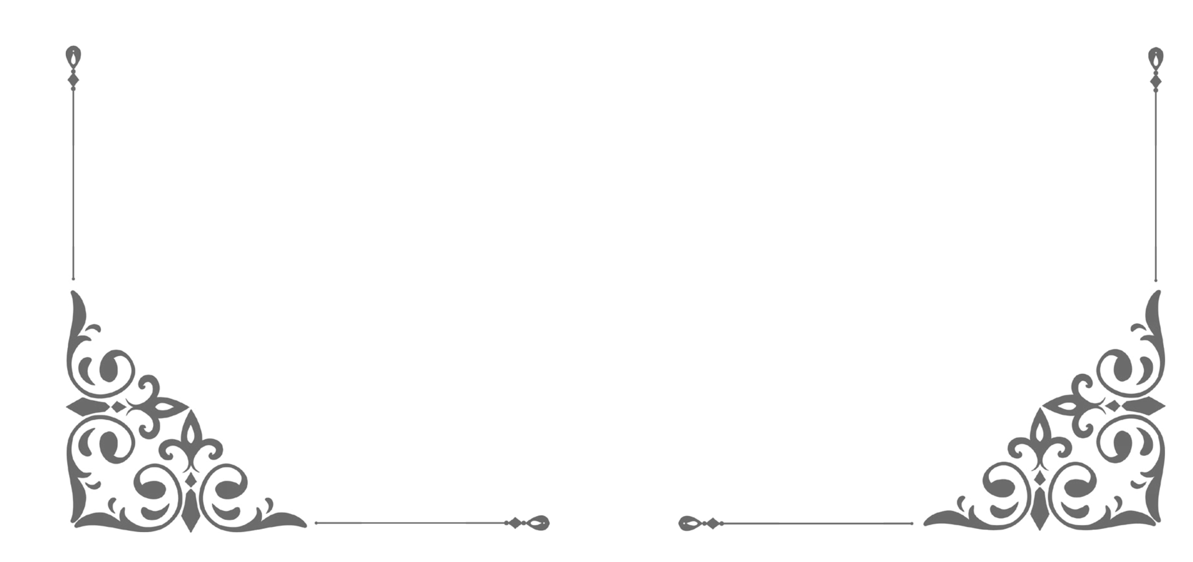
شجـــرة الأثل



شجرة العشر



الخَاتِمَة



الخَــــاتِمَة

الحمد لله الـذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسـلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فأحمد الله وأشـكره على توفيقه إياي لإتمام هـذا البحث، وفي ختامه أودُّ أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها، وذلك في النقاط الآتية:

أولاً: تعريف النبات، ومتى خلق:

١. أن كل ما أنبته الله تعالى من شـجر، أو عشـب ونحـوه في الأرض، أو في السـماء، أو في الجنـة، أو في النـار، فهو نبات، وله جوانـب كثيرة متعلقة بعقيدة المسلم.

٢. اختلـف المحدثون في تصحيح خلـق النبات يوم الاثنيـن، بين مصحح ومضعف.

ثانياً: دلالة النبات على وجود الله تعالى:

أن في خلـق الله للنبـات دليـلاً عظيمًا على وجوده سـبحانه، بدليـل الفطرة، والشرع، والعقل.

ثالثًا: دلالة النبات على ربوبية الله:

١. يـدل النبات على ربوبية الله تعالى من نواحي كثيرة أهمها: دلالة الخلق، ودلالـة العنايـة والحكمة، ودلالـة الإتقـان والإحكام، ودلالة التشـابه والتنوع.

٢. هدم نظرية التطور النباتية بنصوص الكتاب والسنة، والعقل، والتاريخ.

رابعًا: الاستدلال بالنبات على الأسماء الحسنى والصفات العليا:

ولهذا الاستدلال طريقان:

١. الاستدلال بقياس الأولى.
٢. دلالة الفعل على صفات الفاعل.

خامساً: الاستدلال بالنبات على توحيد الألوهية:

١. أن النبات يعبد الله، ويسجد له.
٢. أن الشرع أطلق البركة على أنواع من النبات منها: النخل، وتمر العجوة، وتمر البرني، والزيتون وزيته، والحبة السوداء، والكمأة، والقسط الهندي.
٣. أنه لا يجوز أن يقسم العبد إلا بالله تعالى دون غيره من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد وغيرهم.
٤. أن الله تعالى قد جعل للنبات ولاء ونصرة، ومحبة للمؤمنين، ومن الشواهد على ذلك: حنين الجذع، وشهادة الشجر للمؤذن، وتلبية الشجر مع المسلم، وغير ذلك.
٥. أن شجر الغرقد من شجر اليهود، وسيواليهم في آخر الزمان، وذلك بعدم إخباره عن اليهودي إذا أختبأ خلفه.
٦. جواز تصوير النبات؛ لأنه ليس من ذوات الأرواح، وعدم جواز نحته على صورة ذوات الأرواح.
٧. أن التداوي بالنبات مباح، إلا ما ثبت ضرره على الإنسان.

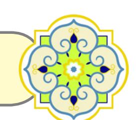
٨. أن الله تعالى قد جعل لتمر العجوة أثرًا في منع السم، والسحر؛ إذا تصبح العبد بسبع منه.

٩. أن أنفع ما يتداوى به من السحر، والعين هو الدعاء، والذكر، وقراءة القرآن.

١٠. أن هناك عقائد خاطئة متعلقة بالنبات منها: عبادة النبات، والتبرك غير المشروع به، والتطير منها، والاعتقاد ببعض الزهور لألوانها، ووضع الزهور على القبور تشبهًا بالكفار.



فِهْرِسُ المُوضُوعَاتِ






التصميم الداخلي للكتاب
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
TharwatSultan@yahoo.com
للتواصل:
00201019530152